

سُورَةُ طه

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا آيَتِي ١٣٠ و ١٣١ فَمَدَنِيَّتَانِ]
وَهِيَ ١٣٥ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ مَرِيَمَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ ① مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ② إِلَّا نَذْكُرَكَ لِمَنْ يَخْشَى ③ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ
الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ④

﴿طه﴾ ①: أبو عمرو؛ فخم الطاء لاستعلائها، وأمال الهاء وفخمها ابن كثير وابن عامر على الأصل، والباقون أمالوهما، وعن الحسن - رضي الله عنه - : «طه»، وفسر بأنه أمر بالوطة، وأن النبي - ﷺ - كان يقوم في تهجدته على إحدى رجليه، فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معاً (٩٤٤). وأن الأصل طأ، فقلبت همزته هاء، أو قلبت ألفاً في طأ فيمن قال

٩٤٤ - أخرجه البزار رقم (٢٢٣٢ - كشف) حدثنا محمد بن إسحاق البغدادي ثنا عبيد الله بن موسى ثنا كيسان أبو عمر عن يزيد بن بلال عن علي قال: كان النبي - ﷺ - يراوح بين قدميه يقدم على كل رجل حتى نزلت: ﴿طه﴾ ① مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ② . ذكره السيوطي في الدر (٥١٦/٤) وحسن إسناده قال الهيثمي (٥٩/٧) في المجمع، «رواه البزار وفيه يزيد بن بلال قال البخاري: فيه نظر، وكيسان أبو عمرو وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وأخرجه البيهقي في الشعب (١٨٦/٢) رقم (١٤٩٧) أخبرنا أبو علي الروذباري أنا الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي ثنا أبو يحيى عن أبي مسرة ثنا خالد بن يحيى ثنا محمد بن زياد السكري ثنا ميمون بن مهران عن ابن عباس أن النبي - ﷺ - أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدر قدميه فأنزل الله عز وجل: ﴿طه﴾ ① مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ② .

ذكره السيوطي في الدر (٥١٦/٤)، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

قال الحافظ: أخرجه عبد بن حميد في تفسيره قال: حدثنا هاشم بن القاسم بن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس قال: كان النبي - ﷺ - قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله: «طه» يعني طأ الأرض» وروى ابن مردويه من طريق قيس بن الربيع، عن قطر بن خليفة، عن منذر الثوري عن محمد بن الحنفية، عن علي: «لما نزل: ﴿يَأْتِيهَا الرُّجُلُ﴾ ① قام الليل كله حتى ورمت قدماه، فجعل يرفع رجلاً ويضع الأخرى، فهبط عليه جبريل، قال: «طه طأ الأرض بقدميك يا محمد» وأخرجه البزار من وجه آخر عن علي: «كان النبي - ﷺ - يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل =

لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ^(١)

ثم بنى عليه الأمر، والهاء للسكت ٢/١٠ أ، ويجوز أن يكتفي بشطري الاسمين، وهما: الدالان بلفظهما على المسمين، والله أعلم بصحة ما يقال: إن «طاها»: في لغة عك^(٢) في معنى: يا رجل، ولعل عكا تصرفوا في: «يا هذا» كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء، فقالوا في «يا»: «طا»، واختصروا هذا فاقصروا على ها، وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به [من البسيط]:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَاهَا فِي خَلَاتِكُمْ لَأَقْدَسَ اللَّهُ أَخْلَاقَ الْمَلَاعِينِ^(٣)

حتى نزلت ﴿طه مَا أُنزِلْنَا . . . الآية﴾ ومن طريق نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: (طه) قال: «إن رسول الله - ﷺ - ربما قرأ القرآن إذا صلى، فقام على رجل واحدة، فأنزل الله طأها برجلك» وأخرجه البيهقي في الشعب الرابع عشر من وجه آخر عن ميمون بن مهران عن ابن عباس «أن النبي - ﷺ - أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدره قدميه إذا صلى . فأنزل الله (طه). انتهى.

(١) نزع ابن بشر وابن عمرو قبله وأخوه هراة لمثلها يتوقع فارعى فزارة لاهنالك المرتع راحت بمسلمة البغال عشية

للفرزديق، يهجو عمرو بن زهرة الفزازي، وقد ولي العراق بعد عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان على البصرة ومحمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة، وكان على الكوفة. يقول: ذهب ابن بشر وابن عمرو، وأخوه هراة أي صاحبها وواليتها. وهراة من بلاد العراق أيضاً. يتوقع: أي يترقب وينتظر مثل حاله من قبله. راحت، وروي: مضت، أي ذهبت البغال بمسلمة بن عبد الملك كما يفيد شرح المراح، وكان يمنع بني فزارة من الرعي في أرض العراق، ففر إلى الشام وترك الملك، فارعى يا فزارة ما شئت يخاطب القبيلة بذلك، وإشارة إلى أنه كان محرماً عليهم، فأبيح بعد مسلمة. وارعى: بفتح العين وسكون الياء؛ لأن مضارعه مفتوح العين. ولا هناك المرتع: دعا عليهم. يقال: هناك الطعام ومراك، بتخفيف الهمز: انهضم في بطنك وأراحك ونفعك، فإذا انفرد الثاني قلت: أمراك الطعام، وتخفيف الهمزة بقلبها ألفاً: صرفه كما هنا شاذ، وقياس تخفيفها في مثل هذا جعلها بين لعدم سكون ما قبلها.

(٢) قوله «في لغة عك» في الصحاح عك بن عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن. (ع)

(٣) السفاهة: الجهل والحمق والخفة. و«طه» في لغة عك، معناه يا هذا، فكأنهم قلبوا الياء طاء وحذفوا ذا. قال الزمخشري: ولا يخفى التصنع في البيت. والخلائق: الطبايع، ودعا عليهم بأن الله لا يطهر أرواحهم. ووضع المظهر موضع المضمحل لزيادة الهمز والتشنيع. وقيل: للدلالة على سبب الدعاء، أي: فإنهم ملعونون، ولعل معناه: فإنهم مستحقين للعن وفاعلون سببه.

ينظر: حاشية الشهاب (١٧٨/٦)، والطبري (١٣٦/١٦)، ومجمع البيان (٢/٤)، والفخر الرازي (٣/٢٢)، والبحر (٢٤٤/٦)، والدر المصون (٣/٥).

والأقوال الثلاثة في الفواتح، أعني: التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل، هي التي يعول عليها الألباء المتقنون، ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾: إن جعلت ﴿طه﴾ (١) : تعديداً لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام، وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها، وهي في موضع المبتدأ، و﴿الْقُرْآنَ﴾: ظاهر أوقع موقع الضمير؛ لأنها قرآن، وأن يكون جواباً لها وهي قسم، وقرئ: «ما نزل عليك القرآن» ﴿يَشْفَقُونَ﴾: لتعجب، بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا؛ كقوله تعالى: ﴿لَمَّا كَفَرَ بَنِعْمَتِكَ﴾ [الشعراء: ٣]، والشقاء يجيء في معنى: التعجب، ومنه المثل: أشقى من رانض مهر، أي: ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر، ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة، بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة، وقيل: إن أبا جهل والنضر بن الحارث، قالوا له: إنك شقي؛ لأنك تركت دين آبائك، فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز، والسبب في درك كل سعادة، وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها، وروي أنه - عليه الصلاة والسلام - صلى بالليل حتى اسمغدت^(١) قدماه، فقال له جبريل - عليه السلام -: أبق على نفسك؛ فإن لها عليك حقاً (٩٤٥)، أي: ما أنزلناه لنتهك نفسك

٩٤٥ - قال الحافظ: لم أره هكذا، وفي الدعوات الكبير للبيهقي عن عائشة قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان - فذكر حديثاً طويلاً - وفيه: فما زال يصلي قائماً وقاعداً حتى أصبح وحتى اسمغدت قدماه، فقامت أغمزها - الحديث وليس فيه كلام جبريل.

وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣٤٨/١) فقال:

«روى البيهقي في كتاب الدعوات الكبير: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو صالح خلف بن محمد ثنى صالح بن محمد الحافظ ثنا محمد بن عباد حدثني حاتم بن إسماعيل المدني عن نصر بن كثير عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان أنسل رسول الله - ﷺ - من مرطبي ثم قالت: والله، ما كان مرطناً من خز ولا قز، ولا كرسف، ولا كتان، ولا صوف قلنا: سبحان الله! فمن أي شيء؟ قالت: إن كان سداه لشعراً وإن كانت لحمته لمن وبر الإبل قالت: فخشيت أن يكون أتى بعض نسائه فقامت ألتسه في البيت فتقع قدمه على قدمي وهو ساجد فحفظت من قوله: «سجد لك سوادي وأمن لك فؤادي أبوء لك بالنعم، واعترف لك بالذنوب، ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قالت: فما زال رسول الله - ﷺ - يصلي قائماً وقاعداً حتى أصبح وحتى اسمغدت قدماه، فقامت أغمزها وأقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أتعبت نفسك أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة، «أفلا أكون عبداً شكوراً».

قال الحافظ: لم أره هكذا. وفي الدعوات الكبير للبيهقي عن عائشة، قالت: «لما كانت ليلة النصف من شعبان، فذكر حديثاً طويلاً - وفيه: فما زال يصلي قائماً وقاعداً حتى أصبح وحتى اسمغدت قدماه. فقامت أغمزها - الحديث. انتهى.

(١) قوله «حتى اسمغدت» بالغين المعجمة، أي: تورمت. أفاده الصحاح. (ع)

بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة، وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة، وكل واحد من (لتشقى)، و(تذكرة): علة للفعل، إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام؛ لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاته شريطة الانتصاب على المفعولية، والثاني: جاز قطع اللام عنه، ونصبه؛ لاستجماعه الشرائط.

فإن قلت: أما يجوز أن تقول: ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى؛ كقوله تعالى: ﴿إِن تَجَبَّطْ أَعْمَلَكُمْ﴾؟ [الحجرات: ٢] قلت: بلى، ولكنها نصب طارئة، كالنصبه في: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾، وأما النصبه في تذكرة، فهي كالتي في: ضربت زيدا؛ لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها.

فإن قلت: هل يجوز أن يكون (تذكرة): بدلاً من محل: (لتشقى)؟

قلت: لا؛ لاختلاف الجنسين، ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي «إلا» فيه بمعنى: «لكن»^(١)، ويحتمل أن يكون المعنى: إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل^(٢) متاعب التبليغ، ومقابلة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة، وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة، وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالاً ومفعولاً له، ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾: لمن يؤول أمره إلى الخشية، ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر إيماناً وبالقسوة خشية، في نصب: ﴿تَنْزِيلًا﴾ وجوه: أن يكون بدلاً من تذكرة إذا جعل حالاً، لا إذا كان مفعولاً له؛ لأن الشيء لا يعلل بنفسه، وأن ينصب بنزل مضمراً، وأن ينصب بأنزلنا؛ لأن معنى: ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، وأن ينصب على المدح والاختصاص، وأن ينصب بيخشى مفعولاً به، أي: أنزل الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسن وإعراب بين، وقرئ: «تنزيل»: بالرفع على خبر مبتدأ محذوف، ما بعد (تنزيلاً) إلى قوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾؛ تعظيم وتفخيم لشأن المنزل، لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته، ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما: (تنزيلاً) نفسه فيقع

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: يعني باختلاف الجنسين أن نصب التذكرة نصبه صحيحة ليست بعارضة والنصبه التي تكون في «لتشقى» بعد نزع الخافض نصبه عارضة والذي يقول: إنه ليس له محل البتة فيتوهم البديل منه. قلت: مراد الزمخشري باختلاف الجنسين إلا ما ذكرته عن الفارسي رداً على الزجاج وأي أثر لاختلاف النصبين في ذلك؟ انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الوجه الثاني بعد؛ فإن فيه إثبات كون الشقاء سبباً في نزوله عكس الأول وإن لم تكن اللام سببية فكانت للضرورة مثلاً ولم يكن فيه ما جرت عادة الله تعالى به مع نبيه ﷺ من نهيه عن الشقاء والحزن عليهم وضيق الصدر بهم، وكان مضمون هذه الآية متبايناً عن قوله تعالى ﴿فَلَا يَكُنْ فِي سَكْرِكَ كَسْرٌ﴾، ﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ فِي سَكْرٍ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾ ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ وأمثاله كثيرة فالظاهر والله أعلم هو التأويل الأول.

صلة له، وإما محذوفا فيقع صفة له.

فإن قلت: ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب؟

قلت: غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة، ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة، ومنها أنه قال أولاً: (أنزلنا)، ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين، ويجوز أن يكون: (أنزلنا): حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه، وصف السموات بالعلا: دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ

الْأَرْتَى ﴿٦﴾﴾

قريئ: (الرحمن): مجروراً صفة لمن خلق والرفع أحسن؛ لأنه إما أن يكون رفعاً على المدح على تقدير: هو الرحمن، وإما: أن يكون مبتدأ مشاراً بلامه إلى من خلق.
فإن قلت: الجملة التي هي ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: ما محلها - إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح؟

قلت: إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير، وإن رفعت جاز أن تكون كذلك، وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ؛ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك، جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى فلان على العرش، يريدون: ملك وإن لم يقعد على السرير البتة، وقالوه - أيضاً - لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ١٠/٢ ب ملك في مؤذاه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر؛ ونحوه قولك: يد فلان مبسوطه، ويد فلان مغلولة، بمعنى: أنه جواد أو بخيل، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت، حتى أن من لم يبسط يده قط: بالنوال أو لم تكن له يد رأساً قيل فيه: يده مبسوطه لمساواته عندهم قولهم: هو جواد؛ ومنه قول الله - عز وجل - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، أي: هو بخيل، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: هو جواد، من غير تصوّر يد ولا غل ولا بسط، والتفسير بالنعمة والتمحلل للثنوية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام، ﴿وَمَا تَحْتَ الْأَرْتَى﴾: ما تحت سبع الأرضين، عن محمد بن كعب (٩٤٦) وعن السدي: هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة (٩٤٧).

٩٤٦ - أخرجه ابن جرير (٣٩٢/٨) رقم (٢٤٠٠٤) وذكر السيوطي هذا القول عن محمد بن كعب في الدر (٥١٨/٤) وعزاه لابن أبي حاتم.
٩٤٧ - ذكره السيوطي في الدر (٥١٨/٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾

أي: يعلم ما أسررته إلى غيرك وأخفى من ذلك، وهو ما أخطرته ببالك، أو ما أسررته في نفسك، ﴿وَأَخْفَى﴾: منه وهو ما ستره فيها، وعن بعضهم: أن أخفى فعل^(١)، يعني: أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه؛ هو كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عَلِمًا ﴿١١٦﴾﴾، وليس بذلك.

فإن قلت: كيف طابق الجزاء الشرط؟

قلت: معناه: وإن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره، فاعلم أنه غني عن جهرك، فإما أن يكون نهياً عن الجهر؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وإما تعليماً للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله؛ وإنما هو لغرض آخر، ﴿الْحُسْنَى﴾: تأنيث الأحسن، وصفت بها الأسماء؛ لأن حكمها حكم المؤنث؛ كقولك: الجماعة الحسنى، ومثلها: ﴿مَتَارِبٌ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨]، و﴿مِن مَّآبِنِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣]، والذي فضلت به أسماؤه في الحسن سائر الأسماء: دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية، والأفعال التي هي النهاية في الحسن.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾

قفاه بقصة موسى - عليه السلام - ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد؛ حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود، يجوز أن ينتصب: ﴿إِذْ﴾: ظرفاً للحديث؛ لأنه حدث، أو لمضمر، أي: حين ﴿رَأَى نَارًا﴾: كان كيت وكيت، أو مفعولاً لا ذكر استأذن موسى شعبياً - عليهما السلام - في الخروج إلى أمه

(١) قال محمود: «هو أفعال التفضيل، ومنهم من قال إن أخفى فعل ماضٍ... إلخ» قال أحمد: لا يخفى أن جعله فعلاً قاصراً لفظاً ومعنى: أما لفظاً فإنه يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الإسمية إن كان المعطوف عليه الجملة الكبرى، أو عطف الماضي على المضارع إن كان المعطوف عليه الصغرى، وكلاهما دون الأحسن. وأما معنى: إن المقصود الحض على ترك الجهر بإسقاط فائدته من حيث أن الله تعالى يعلم السر وما هو أخفى منه، فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر. وأما إذا جعل فعلاً فيخرج عن مقصود السياق وإن اشتمل على فائدة أخرى، وليس هذا كقوله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عَلِمًا ﴿١١٦﴾﴾ لأن بين السياقين اختلافاً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وخرج بأهله، فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة، وقد ضلَّ الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده، وقدح فصلد زنده^(١)، فرأى النار عند ذلك، قيل: كانت ليلة جمعة، ﴿أَمْكُتُوا﴾: أقيموا في مكانكم، الإيناس: الإبصار البين الذي لا شبهة فيه، ومنه إنسان العين؛ لأنه يتبين به الشيء، والإنس: لظهورهم، كما قيل: الجنَّ لاستتارهم، وقيل: هو إبصار ما يؤنس به؛ لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعاً متيقناً، حققه لهم بكلمة: «إن»؛ ليوطن أنفسهم، ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين، بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع وقال ﴿لَقَلَّحْ﴾ ولم يقطع فيقول: إني ﴿إِيكُمُ﴾ لثلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به، القبس: النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما، ومنه قيل: المقتبسة، لما يقتبس فيه من سعة أو نحوها، ﴿هُدَى﴾ أي: قوماً يهدونني الطريق أو ينفعونني بهداهم في أبواب الدين، عن مجاهد وقتادة؛ وذلك لأن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل، والمعنى: ذوي هدى، أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى، ومعنى الاستعلاء في: ﴿عَلَى النَّارِ﴾: أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها، كما قال سيبويه في مررت يزيد: أنه لصوق بمكان يقرب من زيد، أو لأن المصطلين بها والمستمتعين بها إذا تكنفوها قياماً وقعوداً كانوا مشرفين عليها؛ ومنه قول الأعشى [من الطويل]:

وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ^(٢)

(١) قوله «فصلد زنده» في الصحاح «صلد الزند» إذا صوت ولم يخرج نارا. (ع)

(٢) لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع يخرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

رضيحي لبان ثدي أم تقاسما بأسحج داج عوض لا نتفرق

للأعشى يمدح المحلق - بكسر اللام - سمي بذلك لأن بعيره عضه في وجهه فبقي أثر العضة مثل الحلقة، وهو من بني عكاظ، كان فقيراً وله عشر بنات لا يرغب فيهن أحد لفقره، فانتزل بهن إلى بعض المهامه فنزل به الأعشى فنحر له ناقته ولم يكن عنده غيرها وأحسن قراه، فعظم عند الأعشى، فلما أصبح واستوى على راحته قال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، أن تسير بذكري في بني عكاظ، لعل أحداً يرغب في بناتي فقد مسهن العنس. فمدحه في عكاظ فلم يلبث حتى خطبت بناته، ولاحت: لمحت وتشوفت. واليفاع: المشرف من الأرض. يخرق: أي يخرق ذلك الضوء وينتشر في الأرض. ويروي: تحرق، بالحاء المهملة. والضمير للنار. وتشب: مبني للمجهول. يقال: شببت النار أشبهها شياً وشبواً: أوقدتها. والمقروران: اللذان أصابهما القر، أي: البرد، وأراد بهما الندى والمحلق، يعني أنه هو وكرمه ملازمان لنار القرى ملازمة المقرور لنار التدفؤ، وبين ذلك بقوله: وبات على النار الندى والمحلق. ويجوز أن الأعشى أراد نفسه والمحلق، لكن الأول أوقع في المدح، ومعنى كونهما عليها: أنهما على جانبيها ولأن المتدفق يكون أعلى منها بحيث يمد يده فوقها. وعطف المحلق على الندى دلالة على أنهما متلازمان متقارنان. وبين ذلك بقوله: =

﴿فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾
 وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
 لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾

قرأ أبو عمرو وابن كثير (أني): بالفتح، أي: نودي بأني، ﴿أَنَا رَبُّكَ﴾، وكسر الباقون، أي: نودي، فقليل: يا موسى، أو لأنّ النداء ضرب من القول فعومل معاملة، تكرير الضمير في: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾؛ لتوكيد الدلالة، وتحقيق المعرفة وإمطة الشبهة، روي أنه لما نودي: ﴿بِمُوسَى﴾، قال: من المتكلم؟ فقال له الله - عز وجل - : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، وأن إبليس وسوس إليه قال: لعلك تسمع كلام شيطان، فقال: أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمع من جميع جهاتي الست، وأسمعه بجميع أعضائي، وروي أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تنقد^(١)، وسمع تسبيح الملائكة، ورأى نوراً عظيماً، فخاف وبهت، فألقيت عليه السكينة ثم نودي، وكانت الشجرة عوسجة، وروي: كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت، وعن ابن إسحاق: لما دنا استأخرت عنه، فلما رأى ذلك، رجع وأوجس في نفسه خيفة، فلما أراد الرجعة دنت منه، ثم كلم، قيل: أمر بخلع النعلين؛ لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة (٩٤٨)، وقيل: ليباشر الوادي بقدميه متبركاً به، وقيل: لأن

٩٤٨ - أخرجه ابن جرير عن قتادة (٣٩٧/٨) رقم (٢٤٠٣٢ - ٢٤٠٣٣) وعزاه السيوطي في الدر (٥٢٢/٤) لابن أبي حاتم عن الزهري.

وروى الحاكم (٣٧٩/٢) كتاب التفسير أخبرنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق أنبا محمد بن غالب ثنا عمر بن حفص بن غياث. ثنا أبي وخلف بن خليفة عن حميد بن قيس عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يوم كلم الله موسى كانت =

= رضيعي لبان، وهو حال منهما، شبههما بالتأمين دلالة على غاية التلازم حتى في الرحم بل وقبله. واللبان: لبن المرأة خاصة، وهو مضاف إلى ثدي أم، وتنوينها للإفراد وإضافته له؛ لأنه منه. ويجوز تنوينه. فثدي: بدل منه. والأسحم: الأسود الداجي المظلم. أي تحالفاً كما هو رواية أيضاً في ليل مظلم. أو في الرحم المظلم. وعوض: ظرف مستقبل، نصب بما بعده. لا تنفرك: جواب التحالف، وكنى بذلك كله عن شدة التلازم بينه وبين الكرم.

ينظر: ديوانه (١٢١)، والمغني (١٠١)، واللسان (حلق)، والبحر (٤٥١/٨)، والدر المصون (٦/٥٠٣).

(١) قوله: «كأنها نار بيضاء تنقد... إلخ» عبارة الخازن «أطافت بها نار... إلخ» وعبارة النسفي بدل قوله: «رأى شجرة... إلخ»: «وجد ناراً بيضاء تنوقد في شجرة خضراء من أعلاها إلى أسفلها وكانت شجرة العناب أو العوسج». (ع)

الحفوة تواضع لله، ومن ثم طاف السلف ١١/٢ بالكعبة حافين، ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه، وكان إذا ندر منه الدخول متعللاً تصدق، والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة، وتعظيم لها، وتشريف لقدسها، وروي أنه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي، ﴿طَوَى﴾: بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة، وقيل: مرتين؛ نحو: ثنى^(١)، أي: نودي نداءين أو قدس الوادي كرة بعد كرة، ﴿وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ﴾: اصطفتك للنبوة، وقرأ حمزة: «وإنا اخترناك»، ﴿لِمَا يُوحَى﴾: للذي يوحى، أو للوحي، تعلق اللام باستمع، أو باخترتك^(٢)، ﴿لِيَذْكُرِي﴾: لتذكرني؛ فإن ذكري أن أعبد ويصلى لي، أو لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار عن مجاهد، أو: لأنني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق، أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضاً آخر، أو لتكون لي ذاكراً غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل همهم وأفكارهم به، كما قال: ﴿لَا لَّهُمْ يَحْتَرُّ وَلَا يَنْبَغُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، . واللام مثلها في قولك: جئتك لوقت كذا، وكان ذلك لست ليال خلون، وقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، وقد حمل على ذكر الصلاة بعد

= عليه جبة صوف وكساء صوف، وسراويل صوف وكمه صوف، ونعلاه من جلد حمار غير ذكي».

وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي بقوله: بل ليس على شرط البخاري، وإنما غره أن في الإسناد حميد بن قيس كذا وهو خطأ وإنما هو حميد الأعرج الكوفي ابن علي أو ابن عمار أحد المتروكين فظنه المكي الصادق اهـ.

قال الحافظ: لم أره هكذا، وفي الترمذي والحاكم عن عبد الله بن مسعود رفعه: «يوم كلم الله موسى، كان عليه جبة صوف ونعلاه من جلد حمار ميت، غير ذكي». انتهى.

(١) قوله «وقيل مرتين نحو ثنى» في الصحاح: وقال يعني بعضهم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُقَدِّسِينَ

طَوَى﴾ طوى مرتين، أي قدس. وفيه أيضاً «الثنى» مقصور: الأمر يعاد مرتين اهـ. فلعل أصل عبارته أيضاً: وقيل طوى مرتين يعني قدس وطهر مرتين. وظاهر العبارة أن طوى مثل ثنى بمعنى مرتين، أي: نودي موسى مرتين، أو قدس الوادي مرتين فهو منصوب بنودي أو بالمقدس. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: وقد رد الشيخ هذا، بأن قال: ولا يجوز التعليق باخترتك؛ لأنه من باب

الإعمال فكان يجب أن يختار إعادة الضمير مع الثاني فكان يكون فاستمع له لما يوحى فدل على أنه من باب إعمال الثاني، قال السمين: الزمخشري عني التعليق المعنوي، من حيث الصلاحية، وأما تقدير الصناعة فلم يَغْنَهُ، و«ما» يجوز أن تكون مصدرية وبمعنى «الذي» أي فاستمع للوحي أو للذي يوحى. انتهى. الدر المصون.

نسيانها من قوله - عليه السلام - : «مَنْ نَامَ عَنِ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» (٩٤٩)، وكان حق العبارة أن يقال: لذكرها، كما قال رسول الله - ﷺ -: «إِذَا ذَكَرَهَا» ح، ومن يتمحل له يقول: إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله، أو بتقدير حذف المضاف، أي: لذكر صلاتي، أو لأن الذكر والنسيان من الله - عز وجل - في الحقيقة، وقرأ رسول الله - ﷺ -: «للذكرى».

٩٤٩ - أخرجه البخاري (٧٠/٢) كتاب المواقيت: باب من نسي صلاة... (٥٩٧)، ومسلم (٤٧٧/١) كتاب المساجد: باب قضاء الصلاة الفائتة (٦٨٤/٣١٤)، وأبو داود (١٧٤/١) كتاب الصلاة: باب من نام عن صلاة أو نسيها (٤٤٢)، والترمذي (٣٣٥ - ٣٣٦) كتاب الصلاة: باب ما جاء في الرجل ينسى الصلاة (١٧٨)، والنسائي (٢٩٣/١) كتاب المواقيت: باب فيمن نسي الصلاة (٦١٣)، وابن ماجه (٢٢٧/١) كتاب الصلاة: باب من نام عن الصلاة أو نسيها (٦٩٥ - ٦٩٦)، والدارمي (٢٨٠/١) كتاب الصلاة: باب من نام عن صلاة أو نسيها، وأبو عوانة (٢٦٠/٢) - (٢٦١)، وابن أبي شيبة (١٨٩/١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٣٠/٢)، وأحمد (٣/٢١٦ - ٢٤٣ - ٢٦٧ - ٢٨٢)، والبيهقي (٢١٨/٢)، وابن خزيمة (٩٧/٢) رقم (٩٩٣). من طرق عن قتادة عن أنس مرفوعاً.

ولفظ مسلم: «من نسي صلاة أو نام عنها، فكفارتها أن يصلّيها إذا ذكرها» ولفظ البخاري: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكر لا كفارة لها إلا ذلك» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه مسلم (٤٧١/١) كتاب المساجد: باب قضاء الصلاة الفائتة (٦٨٠/٣٠٩)، وأبو داود (١/١٧٢) كتاب الصلاة: باب من نام عن صلاة أو نسيها (٤٣٥)، والنسائي (٢٩٦/١)، كتاب المواقيت: باب إعادة من نام عن الصلاة لوقتها من الغد، وابن ماجه (٢٢٨ - ٢٢٧/١) كتاب الصلاة: باب من نام عن الصلاة أو نسيها (٦٩٧)، وأبو عوانة (٢٥٣/٢)، والبيهقي (٢١٧/٢) من طرق عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ وللحديث شاهد آخر من حديث سمرة.

أخرجه أحمد (٢٢/٥) من طريق بشر بن حرب عن سمرة قال: بشر أحسبه مرفوعاً: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها»، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٢٦/١) وقال: وبشر بن حرب ضعفه ابن المدني وجماعة وثقه ابن عدي وقال لم أر له حديثاً منكراً. هـ وقال الحافظ في «التقريب» (٩٨/١): بشر بن حرب الأزدي أبو عمرو الندبي: صدوق فيه لين. وفي الباب أيضاً عن أبي بكرة.

أخرجه البزار (١٩٩/١ - كشف) رقم (٣٩٤) من طريق إسماعيل بن علي عن عبيدة عن أبيه عن أبي بكرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها». قال البزار: لا نعلمه عن أبي بكرة إلا من هذا الوجه ولم يحدث به عن ابن علي إلا أحمد بن المقدم.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٢٧/١) وقال: رواه البزار ورجاله موثقون. قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة في قصة النوم عن الصلاة. وفي آخره: من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، وفي رواية: (للذكرى) وهو أيضاً متفق عليه من حديث أنس مرفوعاً بلفظ: «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصلّيها إذا ذكرها» زاد البخاري في رواية: «أقم الصلاة للذكرى». انتهى.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (١٥)

أي: أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية^(١)؛ لفرط إرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به، وقيل: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف، ومحذوف لا دليل عليه مطرح، والذي غرهم منه أن في مصحف أبي: «أكاد أخفيها من نفسي»، وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير: «أخفيها»: بالفتح: من خفاه إذا أظهره، أي: قرب إظهارها؛ كقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، وقد جاء في بعض اللغات: «أخفاه»: بمعنى خفاه؛ وبه فسر بيت امرئ القيس [من المتقارب]:
فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لِأَخْفِيهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدُ^(٢)
فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين، ﴿لِتُجْزَىٰ﴾: متعلق بآية، ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾: بسعيها.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ (١٦)

أي: لا يصدك عن تصديقها، والضمير: للقيامة، ويجوز أن يكون للصلاة.
فإن قلت: العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى، والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق، فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود؟
قلت: فيه وجهان:
أحدهما: أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب، فذكر السبب ليدل على المسبب.

والثاني: أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته، فذكر

- (١) قال محمود: «معناه قاربت ألا أقول: هي آتية... إلخ» قال أحمد: ولا يقنع في رد هذا التأويل بالهويانا، فإنه بين الفساد، وذلك أن خفاءها عن الله تعالى محال عقلاً، فكيف يوصف المحال العقلي بقرب الوقوع. وأحسن ما في محامل الآية ما ذكره الأستاذ أبو علي حيث قال: المراد أكاد أزيل خفاءها، أي: أظهرها، إذ الخفاء الغطاء، وهو أيضاً ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها، ثم تقول العرب: أخفيته. إذا أزلت خفاءه، كما تقول أشكيت وأعتبته، إذا أزلت شكايته وعتبه، وحينئذ يلتم القراءتان: أعني فتح الهمزة وضمها، والله سبحانه وتعالى أعلم.
- (٢) يقال: خفاء، إذا كتمه. وخفاه أيضاً: أظهره، وما هنا منه. والمعنى: إن تكتموا الضغائن التي بيننا نكتمها نحن أيضاً ولا نظهرها. شبه الضغينة والعداوة بالداء بجامع نشأة الضرر عن كل على طريق التصريحية. وشبه الحرب بحيوان على طريق المكنية، والبعث تخييل. أو استعمل البعث في التسبب مجازاً مرسلاً أو استعارة تصريحية. والمعنى: وإن تظهروا البغضاء وتوقدوا الهيجاء تغلبكم كما تعلمون منا.
ينظر: ديوانه ص (١٨٦)، ولسان العرب (خفا)، وتاج العروس (خفي)، وتهذيب اللغة (٧/٥٩٥).

المسبب ليدل على السبب؛ كقولهم: لا أرينك ههنا، المراد: نهيته عن مشاهدته والكون بحضرته؛ وذلك سبب رؤيته إياه، فكان ذكر المسبب دليلاً على السبب، كأنه قيل: فكن شديد الشكيمة صليب المعجم^(١)، حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه، يعني: أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير؛ إذ لا شيء أطم على الكفرة، ولا هم أشد له نكيراً من البعث، فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم، ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك، واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة، فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه، لا البرهان وتدبره، وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل، وزجر بليغ عن التقليد، وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله.

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي

وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ (١٧)؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلَىٰ شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، في انتصاب الحال، بمعنى: الإشارة، ويجوز أن تكون: ﴿تِلْكَ﴾: اسماً موصولاً صلته ﴿يَمِينِكَ﴾؛ إنما سأله ليريه عظم ما اخترعه - عز وعلا - في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضاضة^(٢)، وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبهه على قدرته الباهرة؛ ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك: ما هي؟ فتقول: زبرة حديد، ثم يريك بعد أيام لبوساً مسرداً فيقول لك: هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد، قرأ ابن أبي إسحاق: «عصي»: على لغة هذيل؛ ومثله: ﴿يَكْبُرَتْرَىٰ﴾ [يوسف: ١٩]، أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه، فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة، وقرأ الحسن: عصاي: بكسر الياء؛ لالتقاء الساكنين، وهو مثل قراءة حمزة: ﴿بِشْمَرِغَتٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وعن ابن أبي إسحاق: سكون الياء، ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾: اعتمد عليها إذا أعيتت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة^(٣)، هش الورق: خبطه، أي: أخبطه على رءوس غنمي تأكله، وعن لقمان بن عاد ١١/٢ ب: أكلت حقا وابن لبون وجذع، وهشة نخب وسيلاً دفع، والحمد لله من غير شبع، سمعته من غير واحد من العرب، ونخب: واد قريب من الطائف كثير السدر، وفي قراءة النخعي: «أهش»، وكلاهما من هش الخيز يهش: إذا كان ينكسر لهشاشته، وعن عكرمة: أهس بالسين، أي:

(١) قوله «صليب المعجم» في الصحاح عجمت العود: إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره. ورجل

صلب المعجم: إذا كان عزيز النفس. (ع)

(٢) قوله «حية نضاضة» أي تحرك لسانها في فمها. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «الطفرة» أي الوثبة. (ع)

أنحى عليها زاجراً لها، والهس: زجر الغنم، ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا، كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال: ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان؛ ليكون جوابه مطابقاً للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه، ويجوز أن يريد - عز وجل - أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها، ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة، كأنه يقول له: أين أنت عن هذه المنفعة العظمى، والمأربة الكبرى، المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتدّ بها وتحتفل بشأنها، وقالوا: إنما سأله ليمسّط منه ويقلل هيئته، وقالوا: إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه، وقالوا: انقطع لسانه بالهيبة فأجمل، وقالوا: اسم العصا نبعة، وقيل في المآرب: كانت ذات شعبتين ومحجن، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين، وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها، وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين^(١) على شعبتها وألقى عليها الكساء واستظلّ، وإذا قصر رشاؤه وصله بها، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه، وقيل: كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتها دلوأً، وتكونان شمعتين بالليل، وإذا ظهر عدوّ حاربت عنه، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت، وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه، ويركزها فينبع الماء، فإذا رفعها نضب، وكانت تقيه الهوام.

﴿قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَسْعَى ﴿٢٠﴾﴾

السعي: المشي بسرعة وخفة حركة.

فإن قلت: كيف ذكرت بألفاظ مختلفة: بالحية، والجان، والشعبان؟

قلت: أمّا الحية: فاسم جنس، يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وأمّا الشعبان والجان: فبينهما تناف؛ لأن الشعبان العظيم من الحيات، والجان الدقيق، وفي ذلك وجهان:

أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة، ثم تتوزم ويتزايد جرمها حتى تصير شعباناً، فأريد بالجان أوّل حالها، وبالشعبان مآلها.

الثاني: أنها كانت في شخص الشعبان وسرعة حركة الجان؛ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠]، وقيل: كان لها عرف كعرف الفرس، وقيل: كان بين لحييها أربعون ذراعاً.

(١) قوله: «عرض الزندين» في الصحاح «الزند» العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى والزند السفلى فيها ثقب وهي الأنثى فإذا اجتمعا قيل: زندان ولم يقل زندتان، والجمع زند وأزند وأزند. (ع)

لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل، ملكه من الفزع والنفاز ما يملك البشر عند الأهل والمخاوف، وعن ابن عباس: انقلبت ثعباناً ذكراً يتلع الصخر والشجر، فلما رآه يتلع كل شيء خاف ونفر، وعن بعضهم: إنما خافها؛ لأنه عرف ما لقي آدم منها، وقيل: لما قل له ربه: ﴿وَلَا تَحْفَظْ﴾: بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحيتها، السيرة من السير: كالركبة من الركوب، يقال: سار فلان سيرة حسنة، ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة، وقيل: سير الأولين، فيجوز أن ينتصب على نظرف، أي: سعيدها في طريقها الأولى، أي: في حال ما كانت عصا، وأن يكون «أعاد»: منقولاً من «عاده»، بمعنى: عاد إليه، ومنه بيت زهير [من الوافر]:

وَعَادَكَ أَنْ تُلَاقِيَهَا عِدَاءً^(١)

فيتعدى إلى مفعولين، ووجه ثالث حسن: وهو أن يكون: ﴿سَنُعِيدُهَا﴾: مستقلاً بنفسه غير متعلق بسيرتها، بمعنى: أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا، ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية، فسعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولاً، ونصب سيرتها بفعل مضمرة، أي: تسير سيرتها الأولى، يعني: سعيدها سائرة سيرتها الأولى؛ حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها.

(١) فصرم حبلها إذ صرمته وعادك أن تلاقىها عداً

زهير. أي: أقطع مودتها حيث قطعت مودتك، شبه المودة بالحبل على طريق الاستعارة التصريحية، والتصريم ترشيح وتقوية للتشبيه. وعادك: يحتمل أنه من عاد إذا رجع، فالمعنى: رجعت وردك، يحتمل أنه مقلوب من عداه إذا صرفه، كما في «ناء» مقلوب «نأى» فالمعنى صرفك. قال أبو عمير: وعادك بمعنى شغلك. وقال الأصمعي: بمعنى عاد إليك، وبمعنى صرفك. ومن المعلوم أن الفعل إذا كان لازماً تعدى بالهمزة إلى المفعول قياساً، وإذا تعدى بنفسه إلى مفعول واحد تعدى بدخول الهمزة عليه إلى مفعولين. واختلف هل هو قياس أو سماعي؟ وأعاد منه، فيجري فيه ما ذكر، وأما تعديته إلى أن تلاقىها أيضاً فهو بإسقاط الخافض توسعاً. والعداء: الشغل أو البعد، ويطلق على الجور. من عدا عليه. قال الجوهري: العداء - بالفتح - الظلم، ويجوز كسره بمعنى المانع، لأن العداء هو ما يعدى به أي يصرف به. كاللواذ لما يلاذ به. والرباط لما يربط به. والمعنى: أقطع مودتها حيث قطعت مودتك. وصرفك عن ملاقاتها صارف عظيم، ونسبة الصرف إليه مجاز عقلي من قبيل الإسناد إلى السبب أو الآلة. ويحتمل أن أصله «عداء» بالكسر والقصر جمع عدو. فمد للضرورة، أي: منعك الأعداء عن لقائها فالإسناد حقيقي. في ديوانه ص ٦٢، ولسان العرب (عداء)، وكتاب العين ٢٥١/٨، والمخصص ٢٢/١٦، وكتاب الجيم ٣٣٧/٢، وتهذيب اللغة ١١٣/٣، ومقاييس اللغة ٢٥٠/٤.

﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا﴾

﴿الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾

قيل لكل ناحيتين: جناحان، كجناحي العسكر لمجنبتيه، وجناحا الإنسان: جنباه، والأصل المستعار منه جناحا الطائر، سميا جناحين، لأنه يجنحهما عند الطيران، والمراد: إلى جنبك تحت العضد؛ دل على ذلك قوله: ﴿تَخْرُجُ﴾، السوء: الرداءة والقبح في كل شيء، فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة، وكان جذيمة صاحب الزباء^(١) أبرص فكنوا عنه بالأبرش^(٢)، والبرص: أبغض شيء إلى العرب، وبهم عنه نفرة عظيمة، وأسماعهم لاسمه مجاجة، فكان جديراً بأن يكنى عنه، ولا نرى أحسن ولا أطف ولا أجز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه، يروى أنه كان آدم أخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشى البصر، ﴿بَيْضَاءَ﴾، و﴿آيَةً﴾: حالان معاً، و﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: «من» صلة لبيضاء، كما تقول: ابيضت من غير سوء، وفي نصب: (آية): وجه آخر، وهو: أن يكون بإضمام نحو: خذ، ودونك، وما أشبه ذلك؛ حذف لدلالة الكلام، وقد تعلق بهذا المحذوف، ﴿لِنُرِيكَ﴾ ١٢/٢ أي: خذ هذه الآية - أيضاً - بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى، أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا، أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ

عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَؤُلَاءِ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ

أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نَسِيْحَكَ كَثِيْرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْرُكَ كَثِيْرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا

بَصِيْرًا ﴿٣٥﴾﴾

لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي - لعنه الله - عرف أنه كلف أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش^(٣) رابط وصدر فسيح، فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه، ويجعله حليماً حمولاً، يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات، وأن يسهل عليه في

(١) قوله: «وكان جذيمة صاحب الزباء، جذيمة ملك الحيرة والزباء ملكة الجزيرة كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «فكنوا عنه بالأبرش» في الصحاح البرش في الفرس فقط صغار تخالف سائر لونه والفرس أبرش. (ع)

(٣) قوله: «ذو جأش» في الصحاح يقال: فلان رابط الجأش أي يربط نفسه عن الفرار لشجاعته. (ع)

الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاوله معازم الشئون ومقاساة جلائل الخطوب .

فإن قلت: (لي) في قوله: ﴿أَشْرَحَ لِي صَدْرِي وَيَتَرَىٰ أَمْرِي﴾، ما جدواه^(١) والكلام بدون مستتب^(٢)؟

قلت: قد أبهم الكلام أولاً، فقليل: اشرح لي ويسر لي، فعلم أن ثم مشروحاً وميسراً، ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما، فكان أكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره، من أن يقول: اشرح صدري، ويسر أمرى على الإيضاح الساذج؛ لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل، عن ابن عباس: كان في لسانه رثة^(٣) لما روى من حديث الجمرة (٩٥٠)، ويروى أن يده احترقت، وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ،

٩٥٠ - قال الزيلعي (٣٥١/٢): غريب عن ابن عباس .

وقال الحافظ: لم أراه هكذا وإنما وقع في حديث الفتون الطويل الذي أخرجه النسائي وغيره . وحديث الفتون هذا أخرجه النسائي في التفسير (٤١/٢) (٣٤٦) وفيه: «قالت: أجعل بيني وبينك أمراً يعرف فيه الحق، اثت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إلي، فإن بطش باللؤلؤ واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين، وهو يعقل، ففرد ذلك إليه فتناول الجمرتين فنزعهما منه مخافة أن يحرق يديه . . . الحديث بطوله» .

وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠/٥ - ٢٩) رقم (٢٦١٨) وابن جرير (٤١٧ - ٤١٥/٨) رقم (٢٤١٣١) . وذكره السيوطي في الدر (٤/٥٣٠)، وعزاه لابن أبي عمر العدني في مسنده، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه .

وروى الحاكم (٥٧٥/٢) في التاريخ قصة موسى وفرعون عن وهب بن منبه وفيه: «إن شئت اجعل في هذا الطشت جمره وذهباً، فانظر على أيهما يقبض، فأمر فرعون بذلك، فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها إلى الجمره، فقبض عليها موسى فألقاها =

(١) قال محمود: «إن قلت: ما فائدة لي والكلام مستتب بدونها . . . إلخ» قال أحمد: ويحتمل عندي والله أعلم أن تكون فائدتها الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر راجعة إليه وعائدة عليه؛ فإن الله عز وجل لا ينتفع بإرساله ولا يستعين بشرح صدره، تعالى وتقدس، على خلاف رسول الملك إذا طلب منه أن يريح عليه وإنما يطلب منه ما يعود نفعه على مرسله، ويحصل له غرضه من رسالته، والله أعلم .

(٢) قوله: «مستتب» في الصحاح: استتب الأمر تهيأ واستقام . (ع)

(٣) قوله: «كان في لسانه رثة» في الصحاح «الرثة» بالضم: العجمة في الكلام . وحديث الجمره: أن موسى كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب، فضرب به رأسه، فغضب وهمم بقتله، فقالت له امرأته . إنه صبي لا يعقل وجربه إن شئت، فجاءت بطشتين في أحدهما جمر وفي الآخر جوهر، فمد موسى يده إلى الجوهر، فحولها جبريل إلى الجمر فوضع جمره في فمه فاحترق لسانه . (ع)

ولما دعاه قال: إلى أي رب تدعوني؟ قال: إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها، وعن بعضهم: إنما لم تبرأ يده؛ لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتتعقد بينهما حرمة المواكلة، واختلف في زوال العقدة بكمالها، فقيل: ذهب بعضها وبقي بعضها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ بَيْنُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وكان في لسان الحسين بن علي - رضي الله عنهما - رتة، فقال رسول الله ﷺ: ورثها من عمه موسى (٩٥١)، وقيل: زالت بكمالها؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيَ سُورَةَ يَمُوسَى﴾ [طه: ٣٦]، وفي تنكير العقدة - وإن لم يقل عقدة لساني -: أنه طلب حل بعضها؛ إرادة أن يفهم عنه فهما جيداً، ولم يطلب الفصاحة الكاملة، و﴿مِن لِّسَانِي﴾: صفة للعقدة، كأنه قيل: عقدة من عقد لساني.

الوزير: من الوزر؛ لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه، أو من الوزر^(١)؛ لأن الملك يعتصم برأيه ويلجئ إليه أموره، أو من المؤازره وهي المعاونة، عن الأصمعي قال: وكان القياس أزياراً، فقلبت الهمزة إلى الواو، ووجه قلبها أن فعلاً جاء في معنى: مفاعل مجيئاً صالحاً؛ كقولهم: عشير، وجليس، وقعيد، وخليل، وصديق، ونديم، فلما قلبت في أخيه قلبت فيه، وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز، ونظراً إلى يوازر وأخواته، وإلى الموازرة، ﴿وَزِيرًا﴾، و﴿هَرُونَ﴾: مفعولاً قوله: ﴿وَأَجْعَلْ﴾، قدم ثانيهما على أولهما؛ عناية بأمر الوزارة، أو ﴿لِي وَزِيرًا﴾: مفعولاه، وهارون عطف بيان للوزير، و﴿أَخِي﴾: في الوجهين بدل من هارون، وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن^(٢)، قرءوا جميعاً:

= في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها، فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك إنه لا يعقل شيئاً ولا يعلمه، وكف عنه فرعون وصدقها وكان أمر بقتله.

قال الحافظ: لم أره هكذا، وإنما وقع في حديث القنوت الطويل الذي أخرجه النسائي وغيره من طريق القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير: «سألت ابن عباس - رضي الله عنهما - عن قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ - فذكره بطوله في أربع ورقات - فذكر فيه قصة آسية وفرعون. وقولها: قرب إليه جمرتين ولؤلؤتين، وأنه أخذ الجمرتين فانترعتهما منه مخافة أن يحرقا يده، وهذا يدل على أنه لم يرفعهما إلى فيه. وهو أصح ما ورد في ذلك. وروى الحاكم من طريق وهب بن منه فذكر قصة وفيها قالت: جربه. إن شئت اجعل في هذا جمرة وذهباً فانظر أيهما يقبض. قال: فأخذ الجمرة وألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها» ويقال: إن العقدة التي كانت في لسان موسى من أثر تلك الجمرة التي التقمها. انتهى.

٩٥١ - قال الحافظ: لم أجده. انتهى.

وقال الزيلعي (٣٥٢/١): «غريب جداً».

(١) قوله «الوزير من الوزر» أي الثقل. وقوله «أو من الوزر» أي الملجأ. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ويبعد فيه عطف البيان؛ لأن عطف البيان الأكثر فيه أن يكون =

﴿أَشَدُّ﴾، ﴿وَأَشْرِكُهُ﴾: على الدعاء، وابن عامر وحده: «أشدُّ»، و«أشركه»: على الجواب، وفي مصحف ابن مسعود: «أخي وأشدد»، وعن أبي بن كعب: «أشركه في أمري»، «وأشدد به أزرِي»، ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر: أن يجعل: (أخي) مرفوعاً على الابتداء، و(أشدد به): خبره، ويوقف على: (هارون)، الأزر: القوة، وأزره: قواه، أي: اجعله شريكاً في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك، فإن التعاون - لأنه مهيج الرغبات - يتزايد به الخير ويتكاثر، ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (٣٥) أي: عالماً بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا، وأن هارون نعم المعين والشاذ لعضدي، بأنه أكبر مني سناً وأفصح لساناً.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (٣٦)

السؤال: الطلبة، فعل بمعنى: مفعول؛ كقولك: خبز، بمعنى: مخبوز، وأكل، بمعنى: مأكول.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِيُضَمَّعَ عَلَيَّ عَيْقَى﴾ (٣٩)

الوحي إلى أم موسى: إما أن يكون على لسان نبي في وقتها؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة: ١١١]، أو يبعث إليها ملكاً لا على وجه النبوة، كما بعث إلى مريم، أو يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه، أو يلهمها؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، أي: أوحينا إليها أمراً لا سبيل إلى التوصل إليه ولا إلى العلم به إلا بالوحي، وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل به، أي: هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم، مثله يحق بأن يوحى (أن): هي المفسرة؛ لأن الوحي بمعنى: القول، القذف

= الأول دونه في الشهرة وهذا بالعكس، قلت: لم يرد الزمخشري أن أخي عطف بيان لهارون حتى يقول الشيخ إن الأول وهو هارون أشهر من الثاني وهو أخي إنما عنى الزمخشري أنه عطف بيان أيضاً لـ ﴿وَزَيْرًا﴾ ولذلك قال أخي ولا بد من الإتيان بلفظه ليُعرف أنه لم يرد إلا ما ذكرته قال: وزيراً هارون مفعولاً قوله: «اجعل» أو: لي وزيراً مفعولاً، وهارون عطف بيان لوزير، وأخي في الوجهين بدل من هارون، وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن، فقوله آخر تعين أن يكون عطف بيان لما جعل عنه عطف بيان قبل ذلك وجوز الزمخشري في أخي أن يرتفع بالابتداء، ويكون خبره الجملة من قوله: «أشدد به» وذلك على قراءة الجمهور له بصفة الدعاء، وعلى هذا فالوقف على هارون وقرأ ابن عامر أشدُّ بفتح الهمزة للمضارعة وجزم الفعل جواباً للأمر و«أشركه» بضم الهمزة للمضارعة وجزم الفعل نسقاً على ما قبله. انتهى. الدر المصون.

مستعمل في معنى الإلقاء والوضع؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢]، وكذلك الرمي؛ قال [من الطويل]:

غُلامٌ رَمَاهُ اللّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعاً (١)

أي: حصل فيه الحسن ووضعه فيه، والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت: فيه هجئة؛ ١٢/٢ب لما يؤدي إليه من تنافر النظم.

فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل.

قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت؛ حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر؛ لما كانت مشيئة الله تعالى وإرادته ألا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل وألقاه إليه، سلك في ذلك سبيل المجاز، وجعل اليم كأنه ذو تمييز، أمر بذلك ليطبع الأمر يمثّل رسمه، فقليل: ﴿فَلْيَلْفِهِ أَلِيمٌ

(١)	رآني على ما بي عميلة فاشتكى ولما رأى المجد استعيرت ثيابه غلام رماه الله بالحسن يافِعاً كان الشربا علقت فوق نحره
إلى ماله حالي فواسى وما هجر تردى رداء سابغ الذيل واتزر له سيمياء لا تشق على البصر وفي أنفه الشعرا وفي خده القمر	

لأسيد بن عقاء الفزاري، كان من أكبر أهل زمانه وأعلمهم بالأدب، فطال به عمره ونكبه دهره، فلقبه عميلة الفزاري فسلم عليه وقال: ما أشارك يا عم إلى ما أرى؟ فقال: بخل مثلك بماله، وصون وجهي عن مسألة الناس. فقال: لئن بقيت إلى غد لأغيرن ما بك، فلما كان وقت السحر سمع رغاء الإبل وصهيل الخيل تحت الأموال. فقال: ما هذا؟ قالوا: عميلة شطر ماله بينك وبينه، فأنشأ يقول ذلك. وشبه ماله بعافر على طريق المكنية. والشكوى إليه تخييل. وضمير واسى، بمعنى: أعطى لعميلة. ويجوز أنه للمال، بناء على التشبيه السابق. وثياب المجد مجاز عن المكارم والإحسان على طريق التصريح، واستعارتها ترشيح. ومعناه أخذها من أربابها وذهابها من أصحابها، وذلك كله كناية عن بخل ذوي الأموال. وسابغ العليل: طويله. واتزر: لبس الإزار. ويقراً بتشديد التاء. ويجوز فتحها مع همزة ساكنة قبلها على الأصل والمجاز كما تقدم. وذلك كناية عن كثرة جوده، ويجوز أن المعنى لما رأى الناس تفتخر بمفاخر غيرهم فقط صنع هو المكارم بنفسه لنفسه، ورماه الله بالحسن: وضعه فيه بكثرة، كأنه قذفه فيه بغير حساب. واليافع: الشاب وهو حال. والسيمياء: العلامة لا تشق على البصر كناية عن ظهورها فلا تحتاج إلى تأمل، كظهور الكواكب والنحر: أعلى الصدر وأسفل العنق. والشعرا: نجم كثير الضوء. والبيت الثاني بيان للأول. وروي «حياه الله» وروي «علقت في جبينه» وروي: «وفي جيده القمر» و«حياه: أعطاه. والجيد: العنق، وهذه الرواية أفعد.

ينظر البيت في لسان العرب (سوم) وتاج العروس (سوم)، وبلا نسبة في لسان العرب (سوم)، وتهذيب اللغة ١١٢/١٣، والمخصص ١٦/١٦.

بِالسَّحْلِ، روي أنها جعلت في التابوت قطناً ملحوجاً، فوضعت فيه وجصصته وقيرته، ثم ألقته في اليم، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير، فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت، فأمر به فأخرج ففتح، فإذا صبي أصبح الناس وجهاً، فأحبه عدو الله حباً شديداً لا يتمالك أن يصبر عنه، وظاهر اللفظ أن البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه؛ لأن الماء يسحله، أي: يقشره، وقذف به ثمة فالتقط من الساحل، إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون، ثم أدها النهر إلى حيث البركة، ﴿لَمَنْ يَحْتَسِبْ﴾: لا بخلو إما أن يتعلق بالقيت، فيكون المعنى على: أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب، وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة، أي: محبة حاصلة أو واقعة مني، قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها؛ فلذلك أحبك فرعونه وكل من أبصرك، روي أنه كانت على وجهه مسحة جمال، وفي عينيه ملاحه، لا يكاد يصبر عنه من رآه، ﴿عَلَى عَيْنِي﴾: لتربي ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك، كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، وتقول للصانع: اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي، ولتصنع: معطوف على علة مضمرة، مثل: ليتعطف عليك وترأم^(١)، ونحوه، أو حذف معلله، أي: ولتصنع فعلت ذلك، وقرئ: «ولتصنع»، و«لتصنع» بكسر اللام وسكونها، والجزم على أنه أمر، وقرئ: «ولتصنع»: بفتح التاء والنصب، أي: وليكون عملك وتصرفك على عين مني.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَلَّتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَمَّتَ سَيِّدِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَهُودِيًّا ۖ وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي ۖ﴾ (٤١)

العامل في ﴿إِذْ تَمْشِي﴾^(٢)، (ألقيت)، أو (تصنع)، ويجوز أن يكون بدلاً من: (إذ أوحينا).

فإن قلت: كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان؟

قلت: كما يصح - وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه - أن يقول لك الرجل: لقيت فلانا سنة كذا، فتقول: وأنا لقيته إذ ذاك، وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها، يروى أن

(١) قوله «وترأم» أي تحب وتؤلف. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «العامل في (إذ تمشي) ألقىت أو تصنع... إلخ» قال أحمد: والمعنى يوجب عمل (ولتصنع) فيه لأن معنى صنيعه على عين الله عز وجل: تربيته مكلوئاً بكلاءته مصوناً بحفظه، وزمان تربيته على هذه الحالة: هو زمان رده إلى أمه المشفقة الحنانة. وأما إلقاء المحبة عليه، فقيل: ذلك أول ما أخذه فرعون وأحبه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره، فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها؛ وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت: هل أدلكم؟ فجاءت بالأم، فقبل ثديها، ويروى أن آسية استوهبت من فرعون وتبنته، وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع.

هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي، قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة: اغتم بسبب القتل؛ خوفاً من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون، فغفر الله له باستغفاره حين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين هاجر به إلى مدين، ﴿فَتُونًا﴾: يجوز أن يكون مصدراً على فعول في المتعدّي، كالشبور والشكور والكفور، وجمع فتن أو فتنة، على ترك الاعتداد بتاء التأنيث، كحجوز وبدور، في حجرة وبدرة، أي: فتناك ضروباً من الفتن، سأل سعيد بن جبير ابن عباس - رضي الله عنه - فقال: خلصناك من محنة بعد محنة: ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبير، وألقته أمه في البحر، وهم فرعون بقتله، وقتل قبطياً، وأجر نفسه عشر سنين، وضل الطريق، وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة، وكان يقول عند كل واحدة: فهذه فتنة يا ابن جبير، والفتنة: المحنة، وكل ما يشق على الإنسان، وكل ما يبطل الله به عباده: فتنة؛ قال: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْحَرِّ وَالْمُنِيرِ فَتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿خَنِدِينَ﴾: على ثمانين مراحل من مصر، وعن وهب: أنه لبث عند شعيب ثمانياً وعشرين سنة، منها مهر ابنته، وقضى أوفى الأجلين، أي: سبق في قضائي وقدرتي أن أكلمك وأستنبئك، وفي وقت بعينه قد وقته لذلك، فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر، وقيل: على مقدار من الزمان يوحي فيه إلى الأنبياء، وهو رأس أربعين سنة، هذا تمثيل لما حوِّله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم، مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص؛ أهلاً لثلا يكون أحد أقرب منزلة منه إليه، ولا أطف محلاً، فيصلطعه بالكرامة والأثرة، ويستخلصه لنفسه، ولا يبصر ولا يسمع إلا بعينه وأذنه، ولا يأت من على مكنون سره إلا سواء ضميره^(١) ١١٣/٢.

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخْوَاكَ بِتَأْنِيٍّ وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ (٤٤) ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣) ﴿فَقَوْلًا لَّهُمْ قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَوْ يَحْشَوْنَ﴾ (٤٤)

الونى: الفتور والتقصير، وقرئ: «تنيا»: بكسر حرف المضارعة للاتباع، أي: لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيشما تقلبتما، واتخذنا ذكري جناحاً تصيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني، معتقدين أن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري، ويجوز

(١) قوله «سواء ضميره» في الصحاح «سواء الشيء»: وسطه. (ع)

أن يريد بالذكر: تبليغ الرسالة؛ فإنَّ الذكر يقع على سائر العبادات، وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها، فكان جديراً بأن يطلق عليه اسم الذكر، روي أن الله - تعالى - أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، وقيل: سمع بمقبله، وقيل: ألهم ذلك، قرئ: (لينا): بالتخفيف والقول اللين؛ نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَى وَأَعْيِدَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخَى﴾ [النازعات: ١٨ - ١٩]، لأنَّ ظاهره الاستفهام والمشورة، وعرض ما فيه من الفوز العظيم، وقيل: عداه شباباً لا يهرم بعده، وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت، وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وقيل: لا تجبهاه بما يكره، وألطفاً له في القول^(١)؛ لما له من حق تربية موسى، ولما ثبت له من مثل حق الأبوة، وقيل: كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث: أبو العباس، وأبو الوليد، وأبو مرّة، والترجي لهما، أي: اذهباً على رجائكما وطمعكما، وباشراً الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه، فهو يجتهد بطوقه، ويحتشد^(٢) بأقصى وسعه، وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة، ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ [القصص: ٤٧]، أي: يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والإذعان للحق، ﴿أَوْ يَخْتَى﴾: أن يكون الأمر كما تصفان، فيجزه إنكاره إلى الهلكة.

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفَى﴾

فرط: سبق وتقدم، ومنه الفارط: الذي يتقدم الواردة، وفرس فرط: يسبق الخيل، أي: نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها، وقرئ ﴿يَفْرُطُ﴾: من أفرطه غيره إذا حمّله على العجلة، خافاً أن يحمله حامل على المعالجة بالعقاب^(٣) من شيطان، أو من جبروته واستكباره وأذعائه الربوبية، أو من حبه الرياسة، أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، وقرئ: «يفرط»؛ من الإفراط في الأذية، أي: نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعالجة، أو يجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجل؛ بناء على ما عرفنا وجرباً من شرارته وعتوه، ﴿أَوْ أَنْ يَطْفَى﴾: بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي؛ لجرأته عليك

(١) قوله: «وقيل: لاتجبهاه بما يكره» في الصحاح «جبهته بالمكروه» إذا استقبلته به، وفيه «اللفظ في العمل» الرفق به. (ع)

(٢) قوله: «ويحتشد بأقصى وسعه» أي يستعد ويتأهب. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قال محمود: «معنى يفرط علينا يعجل بعقوبتنا... إلخ» قال أحمد: وإذا روعي في الأدب إطلاق هذه اللفظة عن مجرور بها، فلا يبعد أن يراعى في الأدب بالاعتراف بتقلد منة الله عز وجل زيادة المجرور في قوله ﴿أَشْرَجَ لِي صَدْرِي﴾ كما قدمته آنفاً والله أعلم.

وقسوة قلبه، وفي المعجىء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز: باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوه بالعظيمة .

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَيُّهَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أُنْتَبَعِ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾﴾

﴿مَعَكُمْ﴾ أي: حافظكما وناصركما، ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾: ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأفعل ما يوجب حفظي ونصرتي لكما، فجانز أن يقدر أقوالكم وأفعالكم، وجانز ألا يقدر شيء، وكأنه قيل: أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر، وإذا كان الحافظ والناصر كذلك، تم الحفظ وصحت النصرة، وذهبت المبالاة بالعدو، كانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون والقبط، يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة: من الحفر والبناء ونقل الحجارة، والسخرة في كل شيء، مع قتل الولدان، واستخدام النساء، ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ﴾: جملة جارية من الجملة الأولى، وهي: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]، مجرى البيان والتفسير؛ لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببيئتها التي هي المعجىء بالآية؛ إنما وحد قوله: (بآية)، ولم يشن ومعه آيتان؛ لأن المراد في هذا الموضع: تثبيت الدعوى ببرهانها، فكأنه قال: قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناها من الرسالة؛ وكذلك ﴿قَدْ جِئْنَاكُمْ بَيْنَيْنَا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، ﴿فَأْتِ بِآيَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، ﴿وَلَوْ جِئْنَاكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠]، يريد: وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾﴾

خاطب الاثنين، ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى، لأنه الأصل في النبوة، وهارون وزيره وتابعه، ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته^(١) على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه؛ لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى؛ ويدل عليه قوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزخرف: ٥٢]، ﴿خَلَقْنَاهُ﴾: أول مفعولي أعطى، أي: أعطى خليفته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو ثانيهما، أي: أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع؛ وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان: كل

(١) قوله «يحمله خبثه ودعارته» أي فساده وفسقه. (ع)

واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة، غير ناب عنه، أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة، حيث جعل الحصان والحجر^(١) زوجين، والبعير والناقة، والرجل والمرأة، فلم يزاوج منها شيئاً غير جنسه وما هو على خلاف خلقه، وقرئ: «خلقته»: صفة للمضاف أو للمضاف إليه، أي: كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه، ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: عرّف كيف يرتفق بما أعطى، وكيف يتوصل ١٣/٢ ب إليه، والله دَرَّ هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه، وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالباً للحق.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كَلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٤﴾

سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون، وعن سقاء من شقي منهم وسعادة من سعد، فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب، وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ، لا يجوز على الله أن يخطئ شيئاً أو ينساه، يقال: ضللت الشيء: إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له؛ كقولك: ضللت الطريق والمنزل، وقرئ: «يضل»: من أصله إذا ضيعه، وعن ابن عباس: لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه، ولا يترك من وحده حتى يجازيه، ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم، فتعنت وقال: ما تقول في سوائف القرون، وتمادي كثرتهم، وتباعد أطراف عددهم، كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم؟ فأجاب: بأن كل كائن محبط به علمه، وهو مثبت عنده في كتاب، ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان، كما يجوز أن عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل، أي: لا يضل كما تضل أنت، ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة، ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾: مرفوع صفة لربي، أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح؛ وهذا من مظانه ومجازيه، ﴿مَهْدًا﴾: قراءة أهل الكوفة، أي: مهدها مهدياً، أو يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبى، ﴿وَسَلَكَ﴾: من قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٥٢) [المذثر: ٤٢]، ﴿سَلَكَكُمْ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]، ﴿سَلَكَكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢]، أي: حصل لكم فيها سبلاً ووسطها بين الجبال والأودية والبراري، ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع، لما ذكرت من

(١) قوله «والحجر» بكسر الحاء وسكون الجيم: الأثني من الخيل. اهـ مصححه.

الافتنان^(١)، والإيدان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتدعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، لا يمتنع شيء على إرادته؛ ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانًا﴾ [فاطر: ٢٧]، ﴿أَمْ نَخْلُقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وفيه تخصيص - أيضاً - بأننا نحن نقدر على مثل هذا، ولا يدخل تحت قدرة أحد، ﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافاً؛ سميت بذلك لأنها مزدوجة ومقترنة بعضها مع بعض، ﴿شَتَّى﴾: صفة للأزواج، جمع شتيت، كمريض ومرضي، ويجوز أن يكون صفة للنبات، والنبات مصدر سمي به الثابت كما سمي بالنبت، فاستوى فيه الواحد والجمع، يعني: أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل، بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم، قالوا: من نعمته - عز وعلا - أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام، وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله، أي: قائلين ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾: حال من الضمير في: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، المعنى: أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها، مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها.

﴿مِنَّا خَلَقْتُمْ وَإِنَّا نُعِيدُكُمْ وَإِنَّا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ﴿٥٥﴾

أراد بخلقهم من الأرض خلق أصلهم هو آدم - عليه السلام - منها، وقيل: إن الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبدها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معاً، وأراد بإخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب، ويردهم كما كانوا أحياء، ويخرجهم إلى المحشر ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يِرَاقًا﴾ [المعارج: ٤٣]، عدد الله

(١) قال محمود «هذا من باب الالتفات... إلخ» قال أحمد: الالتفات إنما يكون في كلام المتكلم الواحد، بصرف كلامه على وجوه شتى، وما نحن فيه ليس من ذلك؛ فإن الله تعالى حكى عن موسى - عليه السلام - قوله لفرعون: ﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَعْضُلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ثم قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ إلى قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ إما أن يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك: أمرنا وعمرنا، وإنما يريدون الملك، وليس هذا بالفتات. وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله: ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ ثم ابتداء الله تعالى وصف ذاته بصفات إنعامه على خلقه، فليس الفتاتاً أيضاً، وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب، وعلى هذا التأويل ينبغي للقارئ أن يقف وقيفة عند قوله: ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ ليستقر بانتها الحكاية. ويحتمل وجهاً آخر: وهو أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجاً من نبات شتى؛ فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير إلى ذاته؛ لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى، فمرجع الضميرين واحد، وهذا الوجه وجه حسن دقيق الحاشية، وهذا أقرب الوجوه إلى الالتفات، لكن الزمخشري لم يعنه، والله أعلم.

عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم؛ حيث جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقبلون عليها، وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاءوا، وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقاتهم وعلوفات بهائمهم، وهي أصلهم الذي منه تفرعوا، وأمهم التي منها ولدوا، ثم هي كفاتهم إذا ماتوا^(١)، ومن ثم قال رسول الله - ﷺ -: «تَمَسَّحُوا بِالْأَرْضِ، فَإِنَّهَا بِكُمْ بَرَةٌ» (٩٥٢).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ (٥٦)

﴿آرْتِنَهُ﴾: بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها؛ وإنما كذب لظلمه؛ كقوله تعالى: ﴿رَحِمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَآ أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَابِرٍ﴾ [الإسراء: ١٢]، وفي قوله تعالى: ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ وجهان:

أحدهما: أن يحذى بهذا التعريف الإضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها^(٢)، أعني: أنها كانت لا تعطي إلا تعريف العهد، والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى - عليه السلام -: العصا، واليد، ولفق البحر، والحجر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وتنق الجبل.

والثاني: أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيته غيره من الأنبياء من آياتهم

٩٥٢ - أخرجه الطبراني في الصغير (١٤٨/١) حدثنا حملة بن محمد الغزي بمدينة غزة حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا سفيان عن عوف عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي عن النبي - ﷺ - قال: «تمسحوا بالأرض؛ فإنها بكم برة».

وقال لم يروه عن سفيان إلا الفريابي، ومن طريقه رواه القضاعي في مسند الشهاب (٧٠٤)، وأخرج القضاعي في مسند الشهاب وابن أبي شيبة في المصنف (١٤٩/١) كتاب الطهارات، باب ما يجزىء الرجل في تيممه حديث (١٧٠٧) عن أبي عثمان النهدي عن النبي - ﷺ - قال: بلغني أن النبي - ﷺ - قال: «تمسحوا بها؛ فإنها بكم برة - يعني الأرض» هكذا مرسلًا.

قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة عن علي بن عوف عن ابن عثمان به مرسلًا. وأخرجه الطبراني في الصغير من رواية الفريابي عن الثوري عن عوف. وصله بذكر سلمان قال ابن طاهر: المرسل أولى بالصواب. انتهى.

(١) قوله «ثم هي كفاتهم إذا ماتوا» أي موضعهم الذي يضمون فيه. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفيه بعد لأن الإخبار بالشيء لا يسمى رؤية له الإعجاز بعيد وقيل: بل الرؤية هنا رؤية قلبية وأيد ذلك بأنه لم يكن أراه إلا اليد والعصا فقط ومن جوز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه أو إعمال المشترك في معنييه يجيز أن يراد المعنيين جميعاً وتأكيد الآيات بكلها يدل على إرادة العموم لأنهم قالوا: فائدة التوكيد بكل وأخواتها رفع توهم وضع الأخص موضع الأعم فلا يدعي أنه أراد بالآيات آيات مخصوصة وهذا يتمشى على أن الرؤية قلبية ويراد بالآيات ما يدل على وحدانية الله وصدق المبلغ. انتهى. الدر المصون.

ومعجزاتهم، وهو نبي صادق، لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به، فكذبها جميعاً، ﴿وَأَنذَرْنَا﴾: أن يقبل شيئاً منها، وقيل: فكذب الآيات وأبى قبول الحق.

﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾﴾

يلوح من جيب قوله: ﴿أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾: أن فرائضه كانت ترعد خوفاً مما ١٤/٢ جاء به موسى - عليه السلام - لعلمه وإيقانه أنه على الحق، وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادات وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره، وأنه غالبه على ملكه لا محالة، وقوله: (بسحرك): تعلل وتحير، وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسَ صُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ

أَقْبَلَ ﴿٦٠﴾﴾

لا يخلو الموعد في قوله: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ من أن يجعل زماناً أو مكاناً أو مصدرًا، فإن جعلته زماناً نظراً في أن قوله تعالى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾: مطابق له، لزمك شيئان: أن تجعل الزمان مخلفاً، وأن يعضل عليك ناصب مكاناً: وإن جعلته مكاناً؛ لقوله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨]، لزمك^(١) - أيضاً - أن توقع الإخلاف على المكان، وألاً

(١) قال محمود «إن جعلت موعداً الأول اسم مكان ليطابق قوله مكاناً سوى لزمك... الخ» قال أحمد: وفي إعماله وقد وصف بقوله ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ بعد، إلا أن تجعل: الجملة معترضة، فهو مع ذلك لا يخلو من بعد، من حيث أن وقوع الجملة عقب النكرة بحيزها، الشأن أن تكون صفة، والله أعلم. ويحتمل عندي وجه آخر أخصر وأسلم: وهو أن يجعل موعداً اسم مكان فيطابق مكاناً، ويكون بدلاً منه، ويطابق الجواب بالزمان بالتقرير الذي ذكره ويبقى عود الضمير، فنقول: هو والحال هذه عائد على المصدر المفهوم من اسم المكان: لأن حروفه فيه. والموعد إذا كان اسم مكان فحاصله مكان وعد، كما إذا كان اسم زمان فحاصله زمان وعد. وإذا جاز رجوع الضمير إلى ما دلت قوة الكلام عليه وإن لم يكن منظوقاً به بوجه، فرجوعه إلى ما هو كالمنظوق به أولى. ومما يحقق ذلك أنهم قالوا: من صدق كان خيراً له. يعنون: كان الصدق خيراً له، فأعادوا الضمير على المصدر وقدروه منظوقاً به للنتق بالفعل الذي هو مشتق منه. وإذا أوضح ذلك فاسم المكان مشتق من المصدر اشتقاق الفعل منه، فالنتق به كاف في إعادة الضمير على مصدره والله أعلم. وعلى هذين التأويلين يكون جواب موسى - عليه السلام - من جوامع كلم الأنبياء؛ لأنه سئل أن يواعدهم مكاناً فعلم أنهم لا بد أن يسألوه مواعدة على زمان أيضاً، فأسلف الجواب عنه وضمنها جواباً مفرداً، ولقائل أن يقول: إن كان المسئول منه المواعدة على المكان فلم أجاب بالزمان الذي لم يسئل عنه صريحاً، وجعل جواب ما سئل عنه مضمناً. وجوابه - والله أعلم - أن يقال: اكتفى بقريته =

يطابق قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ [طه: ٥٩]، وقراءة الحسن غير مطابقة له مكاناً وزماناً جميعاً؛ لأنه قرأ: (يوم الزينة): بالنصب، فبقي أن يجعل مصدراً، بمعنى: الوعد، ويقدر: مضاف محذوف، أي: مكان موعد، ويجعل الضمير في (نخلفه): للموعد، و(مكاننا): بدل من المكان المحذوف.

فإن قلت: فكيف طابقه قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾، ولا بد من أن تجعله زماناً، والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان؟

قلت: هو مطابق معنى، وإن لم يطابق لفظاً؛ لأنهم لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه، مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم، فبذكر الزمان علم المكان، وأما قراءة الحسن: فالموعد فيها مصدر لا غير، والمعنى: إنجاز وعدكم يوم الزينة، وطباق هذا - أيضاً - من طريق المعنى، ويجوز ألا يقدر مضاف محذوف، ويكون المعنى: اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه.

فإن قلت: فبم ينتصب مكاناً؟

قلت: بالمصدر، أو بفعل يدل عليه المصدر.

فإن قلت: فكيف يطابقه الجواب؟

قلت: أما على قراءة الحسن فظاهر، وأما على قراءة العامة فعلى تقدير: وعدكم وعد يوم الزينة، ويجوز على قراءة الحسن أن يكون: (موعدكم): مبتدأ، بمعنى: الرقت، و(ضحى): خبره، على نية التعريف فيه؛ لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه، وقيل: في يوم الزينة: يوم عاشوراء، ويوم النيروز^(١)، ويوم عيد كان لهم في كل عام، ويوم كانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون ذلك اليوم، قرئ: ﴿نُخْلِفُهُ﴾: بالرفع على الوصف للموعد، وبالجزم على جواب الأمر، وقرئ: ﴿سُوَى﴾، وسوى: بالكسر والضم، ومنوناً وغير منون، ومعناه: منصفاً بيننا^(٢)، وبينك عن مجاهد، وهو من الاستواء؛ لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها، ومن لم ينون فوجهه أن يجري الوصل مجرى الوقف، قرئ: ﴿وإن تحشر الناس﴾: بالتاء والياء، يريد: وأن تحشر يا فرعون، وأن يحشر اليوم، ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة إما على العادة التي يخاطب بها الملوك، أو خاطب القوم بقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾، وجعل: ﴿يُحْشَرُ﴾: لفرعون، ومحل: ﴿وَأَنَّ

= السؤال عن صريح الجواب. وأما ما لم يسئل عنه فلو ضمنه لم يفهم قصده إليه؛ إذ لا قرينة تدل عليه والله أعلم.

(١) قوله «يوم النيروز» لعله النيروز بالزاي كعبارة غيره. (ع)

(٢) قوله «منصفاً بيننا» أي وسطاً، كما في الصحاح. (ع)

هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة، وقرأ أبي: «إن ذان إلا ساحران»، وقرأ ابن مسعود: «أن هذان ساحران»: بفتح أن وبغير لام، بدل من النجوى^(١)، وقيل في القراءة المشهورة: (إن هذان لساحران) هي لغة بلحارث بن كعب، جعلوا الاسم المثني نحو الأسماء التي آخرها ألف، كعصا وسعدى، فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب، وقال بعضهم: (أن) بمعنى: نعم، و(ساحران): خبر مبتدأ محذوف، واللام داخلة على الجملة تنديرة: لهما ساحران، وقد أعجب به أبو إسحاق سموا مذهبهم الطريقة: ﴿الَّتِلْكَ﴾، والسنة: الفضلى، وكل حزب بما لديهم فرحون، وقيل: أرادوا أهل طريقتهم المثلى، وهم: بنو إسرائيل؛ لقول موسى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه: ٤٧]، وقيل: «الطريقة»: اسم لوجوه الناس وأشرفهم الذين هم قدوة لغيرهم، يقال: هم ١٤/٢ اب طريقة قومهم، ويقال للواحد - أيضاً -: هو طريقة قومه، ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾، يعضده قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُمْ﴾ [طه: ٦٠] وقرئ: (فأجمعوا كيدكم) أي: أزمعوه واجعلوه مجمعاً عليه، حتى لا تختلفوا ولا يخلف عنه واحد منكم، كالمسألة المجمع عليها، أمروا بأن يأتوا صفًا؛ لأنه أهيب في صدور الرائيين، وروي أنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل وعصا، وقد أقبلوا إقبالة واحدة، وعن أبي عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى؛ لأن الناس يجتمعون فيه لعبيدهم وصلاتهم مصطفين، ووجه صحته أن يقع علماً لمصلى بعينه، فأمروا بأن يأتوه، أو يراد: اتوا مصلى من المصليات، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعَلَّ﴾: اعتراض، يعني: وقد فاز من غلب^(٢).

﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ وَإِمَّا أَنْ تُكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ﴿١٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ
يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿١٦﴾ ﴿

﴿أن﴾: مع ما بعده إما منصوب بفعل مضمر، أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف، معناه: اختر أحد الأمرين، أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا، وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه، وتواضع له وخفض جناح، وتنبية على إعطائهم النصفة من أنفسهم^(٣).

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر لأن الاعتراض بالجملة القولية بين البدل والمبدل منه لا يصح، وأيضاً فإن الجملة القولية مفسرة للنجوى في قراءة العامة وكذا قاله الزمخشري أولاً فكيف يصح أن يجعل أن هذان ساحران بدلاً من النجوى؟ انتهى. الدر المصون.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ وهذا تفسير معنى لا تفسر إعراب، وتفسير الإعراب إما أن تختار الإلقاء. انتهى الدر المصون.

(٣) قال محمود: «لقد ألهمهم الله حسن الأدب مع موسى عليه السلام في تخييره وإعطاء النصفة من أنفسهم» قال أحمد: وقبل ذلك تأدبوا معه بقولهم ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه﴾ ففوضوا ضرب الموعد إليه، وكما ألهم الله عز وجل موسى ههنا أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون إلقاؤه =

وكان الله - عز و علا - ألهمهم ذلك، وعلم موسى - صلوات الله عليه - اختيار إلقاءهم أولاً، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب، حتى يبرزوا ما معهم من مكاييد السحر، ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم، فإذا فعلوا، أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه، وسلط المعجزة على السحر فمحقته، وكانت آية نيرة للناظرين، وعبرة بينة للمعتبرين، يقال: في (إذا) هذه: إذا المفاجأة، والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى: الوقت، الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها، خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً، وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير، فتقدير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ﴾: ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيتهم، وهذا تمثيل، والمعنى: على مفاجأته حبالهم وعصيتهم مخيلة إليه السعي^(١)، وقرئ: (عصيتهم): بالضم وهو الأصل، والكسر اتباع؛ ونحوه: دُلِّي ودَلِّي، وقُسي وقُسي، وقرئ: (تخيل): على إسناده

= العصا بعد قذفا بالحق على الباطل فدمغه فإذا هو زاهق. كذلك ألهمه من الأول أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم، ليكون الحق أبلج على رؤوس الأشهاد، فيكون أفصح لكيدهم وأهتك لستر حرمهم، والله أعلم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ قوله إنها زمانية قَوْلٌ مَرْجُوحٌ وهو مذهب الرياشي وقوله الطالبة ناصباً صحيح، وقوله وجملة تضاف إليها ليس صحيحاً عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، لأنها إما أن تكون هي خبر المبتدأ وإما أن تكون معمولة لخبر المبتدأ وإذا كان كذلك استحال أن تُضَافَ إلى الجملة، لأنها إما أن تكون بعض الجملة أو مَعْمُولَةٌ لِبَعْضِهَا فلا يُمكنُ الإضافة، وقوله حُصِّتْ في بعض المواضع إلخ قد بينا الناصب لها وقوله والجملة بعدها ابتدائية لا غير، هذا الحصر ليس بصحيح بل جَوْرٌ الأخصُّ على أن الجملة الفعلية المقترنة بَقَدْ تَقَعُ بَعْدَهَا، نحو خَرَجْتُ فَإِذَا قَدْ صَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا وهي على ذلك مسألة الاشتغال نحو خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ قَدْ صَرَبَهُ عَمْرُو قَرَفَعُ زَيْدٌ وَنَضِبَهُ عَلَى الْاِشْتِغَالِ، وقوله والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيتهم مخيلة إليه السعي، فهذا عكس ما قدر بل المعنى على مفاجأة حبالهم وعصيتهم إياه فإذا قلت خَرَجْتُ فَإِذَا السَّبُعُ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ فَاجَأَنِي السَّبُعُ وَهَجَمَ ظُهُورَهُ، انتهى مَا رَدُّ بِهِ قَوْلَهُ.

وما رد به عليه غير لازم له، لأنه رَدُّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ بَعْضِ النَّحَاةِ وَهُوَ لَا يَلْتَزِمُ ذَلِكَ الْقَوْلَ حَتَّى يَرِدَ بِهِ عَلَيْهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمَشْهُورُ غَيْرَهُ وَمَقْصُورُهُ تَفْسِيرُ الْمَعْنَى، قال أبو البقاء الفاء جواب ما حذف وتقديره فَأَلْقَوْا فَإِذَا، «فَإِذَا» في هذا ظرف مكان العامل فيه «فَأَلْقَوْا» وفي هذا نظر لأنَّ الْقَوْلَا هَذَا لِمَقْدَرٍ لَا يَطْلُبُ جَوَابًا حَتَّى يَقُولَ الْغَاءُ جَوَابَهُ، بل كان ينبغي أن يقول الغاء عاطفة هذه الجملة الفجائية على جملة أخرى مقدرة، وقوله ظرف مكان هذا مذهب المبرد وظاهر قول سيبويه أيضاً وإن كَانَ الْمَشْهُورُ بَقَاءً عَلَى الزَّمَانِ وَقَوْلُهُ إِنَّ الْعَامِلَ فِيهَا فَأَلْقَوْا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ الْغَاءَ تَمَنَعُ مِنْ ذَلِكَ، هذا كلام الشيخ ثم قال بعده ولأنَّ إِذَا هَذِهِ إِثْمًا هِيَ مَعْمُولَةٌ لِخَبَرِ الْمَبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ حَبَالُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ إِنَّ لَمْ يَجْعَلْهَا هِيَ فِي مَوَاضِعِ الْخَيْرِ، لأنه يجوز أن يكون الخبر يخيّل ويجوز أن يكون إذا «وَيُخَيَّلُ» في موضع الحال وهذا نظير خرجت فإذا الأسد زابضٌ ورابضاً، فإذا رَفَعْتُ رَابِضًا كَانَتْ إِذَا مَعْمُولَةٌ لَهُ وَالتَّقْدِيرُ فِيَالْحَضْرَةِ الْأَسَدُ زَابِضٌ أَوْ فِي الْمَكَانِ وَإِذَا نَصَبَتْ كَانَتْ إِذَا جَرًّا وَلِذَلِكَ يَكْتَفِي بِهَا وَبِالْمَرْفُوعِ بَعْدَهَا كَلَامًا، نحو خَرَجْتُ فَإِذَا الْأَسَدُ. انتهى. الدر المصون.

إلى ضمير الحبال والعصي، وإبدال قوله: ﴿أَتَأْتَنَّى﴾: من الضمير بدل الاشتمال؛ كقولك: أعجبنى زيد كرمه، وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها، وتخيل بمعنى: تتخيل، وطريقه طريق تخيل، ونخيل: على أن الله - تعالى - هو المخيل للمحنة والابتلاء، يروى أنهم لطحوها بالزئبق، فلما ضربت عليها الشمس، اضطربت واهتزت، فخيلت ذلك.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ ﴿٦٩﴾ لَلْقَفِّ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

إيجاس الخوف: إضمام شيء منه، وكذلك توجس الصوت: تسمع نبأه يسيرة^(١) منه؛ وكان ذلك لطبع الجبلية البشرية، وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله، وقيل: خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾: فيه تقرير لغلبته وقهره، وتوكيد بالاستئناف، وبكلمة التشديد، وبتكرير الضمير، وبلاد التعريف، وبلطف العلو، وهو الغلبة الظاهرة وبالترفضيل، وقوله: ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾، ولم يقل: عصاك^(٢): جائز أن يكون تصغيراً لها، أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيتهم، وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك؛ فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها، وصغره وعظمتها، وجائز أن يكون تعظيماً لها^(٣)، أي: لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة؛ فإن في يمينك شيئاً أعظم منها

(١) قوله «نبأه يسيرة» في الصحاح «النبأ»: الصوت الخفي. (ع)

(٢) قال محمود: «وقال ما في يمينك ولم يقل عصاك... إلخ» قال أحمد: وإنما المقصود بتحقيقها في جنب القدرة تحقير كيد السحرة بطريق الأولى؛ لأنها إذا كانت أعظم منه وهي حقيرة في جانب قدرة الله تعالى، فما الظن بكيدهم وقد تلقفت هذه الحقيرة الضئيلة؟ ولأصحاب البلاغة طريق في علو المدح بتعظيم جيش العدو الممدوح، ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقد قهره واستولى عليه، فصغر الله أمر العصا ليلزم منه تصغير كيد السحرة الداخض بها في طرفة عين.

(٣) عاد كلامه. قال محمود: «ويجوز أن يكون تعظيماً لأمرها إذ فيه تثبيت لقلب موسى على النصر» قال أحمد: وههنا لطيفة: وهو أنه تلقى من هذا النظم أولاً قصد التحقير، وثانياً قصد التعظيم، فلا بد من نكتة تناسب الأمرين وتلك - والله أعلم - هي إرادة المذكور مبهماً، لأن ما في يمينك أبهم من عصاك، وللعرب مذهب في التنكير والإبهام والإجمال، تسلكه مرة لتحقير شأن ما أبهمته وأنه عند الناطق به أهون من أن يخصه ويوضحه، ومرة لتعظيم شأنه وليؤذن أنه من عناية المتكلم والسامع بمكان يعني فيه الرمز والإشارة، فهذا هو الوجه في إسماعه بهما جميعاً. وعندني في الآية وجه سري قصد التعظيم والتحقير والله أعلم، وهو أن موسى عليه السلام أول ما علم أن العصا آية من الله تعالى عند ما سأله عنها بقوله تعالى ﴿وَمَا تَلْكَ يَمِينِكَ يَمُوسَىٰ﴾ ثم أظهر له تعالى آيتها، فلما دخل وقت الحاجة إلى ظهور الآية منها قال تعالى ﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له ﴿وَمَا تَلْكَ يَمِينِكَ﴾ وقد أظهر له آيتها، فيكون ذلك تنبيهاً له وتأنيساً =

كلها، وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عنده، فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها، وقرئ: (تلقف): بالرفع على الاستئناف، أو على الحال، أي ألقها متلقفة، وقرئ: «تلقف»: بالتخفيف^(١)، «صَنَعُوا»: ههنا بمعنى: زوروا وافتعلوا؛ كقوله تعالى: ﴿تَلَقَّفْ مَا يَأْكُونُ﴾ [الأهراءم: ١١٧]، قرئ: (كيد ساحر): بالرفع والنصب، فمن رفع فعلى أنّ (ما): موصولة، ومن نصب فعلى أنها كافة، وقرئ: «كيد سحر»: بمعنى: ذي سحر، أو ذوي سحر، أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته، أو بين الكيد^(٢)؛ لأنه يكون سحراً وغير سحر، كما تبين المائة بدرهم؛ ونحوه: علم فقه، وعلم نحو.

فإن قلت: لم وحد ساحر ولم يجمع؟

قلت: لأنّ القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية، لا إلى معنى العدد، فلو جمع، لخيّل أنّ المقصود هو العدد؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ الْتَّاحِرُ﴾ أي: هذا الجنس.

فإن قلت: فلم نكر أولاً وعرف ثانياً؟

قلت: إنما نكر من أجل تنكير المضاف، لا من أجل تنكيره في نفسه؛ كقول العجاج [من الرجز]:

فِي سَعْيِ دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مَدَّتْ^(٣)

= حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت ظهور آيتها، وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَأَرْجَسَ فِي قَلْبِهِ خِيفَةً مُّؤَيَّنٍ ۗ﴾، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) قوله «وقرئ» تلقف بالتخفيف» عبارة النسفي: تلقف بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف: حفص، وتلقف: ابن ذكوان. الباقون: تلقف، فليحجر. (ع)

(٢) قوله «أو بين الكيد» لعله بعده سقطاً تقديره «بالسحر». (ع)

(٣) الحمد لله الذي استقلت بإذنه السماء* واطمأنت بإذنه الأرض وما تعنت* أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت والجاعل الغيث غياث الأمم* والجامع الناس ليوم البعث بعد الممات وهو محيي الموت يوم ترى النفوس ما أعدت

من نزل إذا الأمور غبّت في سعي دنيا طالما تعنت

استقلت: ارتفعت. واطمأنت: انخفضت. وفي الشعر التضمين. والتعنت: الإلتعاب أو التأخر والتشاغل، من العنا وهو التعب. وأوحى لها: ألهمها. والثبت: جمع ثابت، والوقف على هاء التأنيت، كالأمت بالتاء قليل. والموت: جمع مائت. والنزل: ما يعد للضيف، استعارة لما يقدمه الإنسان من الأعمال. وغبت: بلغت غيبها رغابتها. وفي سعي: متعلق به. أو تعنت بعده، أي: تعبت أو أتعبت. وضمن على المعنى الأول للنفوس، وعلى الثاني للدنيا، ونكرها لتنكير السعي دلالة على التقليل. أي في سعي دنوي قليل.

للعجاج في ديوانه ١/٤١٠، وخزانة الأدب ٨/٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، وشرح شواهد الإيضاح ص ٣٥٠، وشرح المفصل ٦/١٠٠، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٨/٣١٦، والمخصص ١٥/١٩٣.

وفي حديث عمر - رضي الله عنه - : «لَا فِي أَمْرٍ دُنْيَا وَلَا فِي أَمْرٍ آخِرَةٍ» (٩٥٣)، المراد تنكير الأمر، كأنه قيل: إن ما صنعوا كيد سحري، وفي سعي دنوي، وأمر دنوي وآخرى؛ ﴿حَيْثُ أَقْبَى﴾؛ كقولهم: حيث سير، وأية سلك، وأينما كان.

﴿فَأَلْفَى السَّحْرَةَ مُجَدًّا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٧١)

سبحان الله، ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود؛ ثم ألقوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين^(١) وروي أنهم لم يرفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها، وعن عكرمة: لما خروا سجداً أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة.

﴿قَالَ ءَأَمَّنْتُمْ لِمُ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنْ لَكُمْ إِنَّهُ ١٥ / ٢ لِكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَلْصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ السَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (٧١)

﴿لِكَبِيرِكُمْ﴾: لعظيمكم، يريد: أنه أسحروهم وأعلامهم درجة في صناعتهم، أو لمعلمكم؛ من قول أهل مكة للمعلم: أمرني كبير، وقال لي كبير: كذا، يريدون: معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء، قرئ: ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ﴾: «والأصلبن»؛ بالتخفيف، والقطع من خلاف: أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى؛ لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر، بأن هذا يد وذاك رجل، وهذا يمين وذاك شمال، و«من»: لابتداء الغاية؛ لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو، لا من وفاقه إياه، ومحل الجار

٩٥٣ - قال الحافظ: «ذكره صاحب النهاية بغير إسناد وفي الباب عن ابن مسعود» اهـ.

قلت وهو في النهاية (٣٤٠/٢) بلفظ: «لا يجئ أحكمكم يوم القيامة سهلاً».

أما أثر ابن مسعود فرواه الطبراني في الكبير (١٠٦/٩) رقم (٨٥٣٨) موقوفاً بلفظ: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا من عمل دنيا ولا آخرة».

وفي رواية رقم (٨٥٣٩) «إني لأمقت...» وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣٥٣/٢) لأبي نعيم في الحلية وابن المبارك في الزهد.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٦/٤): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه راو لم يسم وبقيته رجاله ثقات».

(١) قال محمود: «سبحان من فرق بين الإلقاءين إلقاءهم حبالهم وعصيهم... إلخ» قال أحمد: وفي تكرير لفظ الإلقاء والعدول عن مثل: فسجد السحرة، إيقاظ السامع لألطف الله تعالى في نقله عباده من غاية الكفر والعناد إلى نهاية الإيمان والسداد، وهذا الإيقاظ لا يحصل على الوجه إلى هذا القصد إلا بتكرير لفظ واحد على معنيين متناقضين، وهو يناسب ما قدمته آنفاً في إيجاز الخطاب في قوله ﴿وَأَلْفَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ﴿وَمَا تَلَّكَ يَمِينِكَ﴾ فتأمله فإن الحق حسن متناسب، والله الموفق.

والمجورور النصب على الحال، أي: لأقطعنها مختلفات؛ لأنها إذا خالف بعضها بعضاً فقد اتصفت بالاختلاف، شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه؛ فلذلك قيل: ﴿فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾، ﴿أَيْنَا﴾: يريد: نفسه لعنه الله وموسى - صلوات الله عليه - بدليل قوله: ﴿ءَامَنْتُمْ لَكُمْ﴾، واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله تعالى؛ كقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] وفيه نفاجة^(١) باقتداره وقهره، وما ألفه وضرى به: من تعذيب الناس بأنواع العذاب، وتوضيع لموسى - عليه السلام - واستضعاف له مع الهزء به؛ لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٦) إِنَّا مَأْمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٧) إِنَّهُ مِنْ بَيِّنَاتِ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٨) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٩) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ (٧٦)

﴿وَالَّذِي فَطَرْنَا﴾: عطف على ما جاءنا أو قسم، قرئ: ﴿تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، ووجهها أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف، فأتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به؛ كقولك في «صمت يوم الجمعة»: «صيم يوم الجمعة»، وروي أن السحرة - يعني رءوسهم - كانوا اثنين وسبعين: الاثنان من القبط، والساير من بني إسرائيل، وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر، وروي أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر الساحر؛ لأن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى إلا أن يعارضوه، ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تطهر من أدناس الذنوب، وعن ابن عباس: قال: لا إله إلا الله، قيل: في هذه الآيات الثلاث: هي حكاية قولهم، وقيل: خبر من الله، لا على وجه الحكاية.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (٧٩)﴾

﴿فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾: فاجعل لهم؛ من قولهم: ضرب له في ماله سهماً، وضرب

(١) قوله «وفيه نفاجة» في الصحاح «رجل نفاج» إذا كان صاحب فخر وكبر. (ع)

اللبن: عمله، اليبس: مصدر وصف به، يقال: يبس يبساً ويبساً^(١)؛ ونحوهما: العدم والعدم، ومن ثم وصف به المؤنث، فليل؛ شاتنا يبس، وناقتنا يبس: إذا جف لبنها، وقرئ: «يبسا»، و«يابسا»، ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففاً عن اليبس، أو صفة على فعل، أو جمع يابس، كصاحب وصحب، وصف به الواحد تأكيداً؛ كقوله [من الوافر]:

..... وَمَعَى جِيَاعاً^(٢)

جعل له لفرط جوعه كجماعة جياع ﴿لَا تَخَفُ﴾: حال من الضمير في ﴿فَأَضْرِبْ﴾ وقرئ: «لا تخف»: على الجواب، وقرأ أبو حيو: ﴿دَرَكَا﴾: بالسكون، والدرك والدرك: اسمان من الإدراك، أي: لا يدركك فرعون وجنوده لا يلحقونك، في ﴿وَلَا تَخْشَى﴾: إذا قرئ: «لا تخف»: ثلاثة أوجه: أن يستأنف، كأنه قيل: وأنت لا تخشى، أي: ومن شأنك أنك آمن لا تخشى، وألاً تكون الألف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل، ولكن: زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة؛ كقوله: ﴿فَأَضْلُوْنَا أَسْبِيَالًا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ﴿وَتَطْمَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]، وأن يكون مثله قوله [من الطويل]:

..... كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيًا^(٣)

(١) قال محمود: «قرئ بسكون الباء ويفتحها... إلخ» قال أحمد: ووجه آخر وهو أن قدر كل جزء من أجزاء الطريق طريقاً، وقد كانت بهذه المثابة لأنها كانت اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق، والله أعلم.

(٢) كان قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزاً ومعى جياعا على وحشية خذلت خلوج وكان لها طلا طفل فضاعا فكرت تبغيه فصادفته على دمه ومصرعه السباعا

للقطامي في مدح زفر بن الحارث الكلابي. والقتود: عيدان الرحل: جمع أقتاد: جمع قند، والحالبان عرقان يكتنفان السرة. والغرز: جمع غارز - بتقديم الراء - قليلات اللبن، ضد الغزر بتقديم الزاي. والمعنى: مجرى الطعام في البطن من الحوايا. وصفه بصورة الجمع - وهو جياعا - مبالغة. والمعنى: جائعاً. وهذا كناية عن هزال الناقة من شدة السير. وفيه إيحاء لفقره وفاقته. و«على وحشية» خبر كان. والوحشية: الظبية. وخذلت: صفتها، أي: تركها سرب الظباء. وخلوج: صفة أخرى. وخلج واختلج: اضطرب وذهب. وخلجه واختلجه: انتزعه واجتذبه. والخلوج: التي اختلج ولدها من الظباء أو الإبل. أو التي اختلج قلبها لعدم رؤيته. والظلاء: ولد الظبية ونحوها من ذوات الظلف، طفل: أي صغير، فكرت: رجعت بسرعة تطلبه. والسباع: بدل إضرابي انتقالي من ضمير صادفته. أو نصب بمضمحل عليه صادفته، أي: صادفت السباع واقفة على دمه ومصرعه، أي: محل طرحه على الأرض، شبه الناقة بها في تلك الحال لسرعتها ويقظتها. ينظر البيت في ديوانه ص ٤١، والأشباه والنظائر ٤/١٩٨، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٢٩، ولسان العرب (غرز)، ٢٨٧/١٥ (معى)، وتاج العروس (غرز)، (معا).

(٣) وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا وظل نساء الحي حولي ركداً يراودن مني ما تريدن نمائيا لعبد يغوث بن وقاص الحارثي: أسر يوم الكلاب في بني تميم، فقال قصيدة يذكر فيها حاله منها =

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾: من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي: غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله، وقرئ: فغشاهم من اليم ما غشاهم، والتغشية: التغطية، وفاعل غشاهم: إما الله سبحانه، أو ما غشاهم، أو فرعون؛ لأنه الذي وُزط جنوده وتسبب لهلاكهم، وقوله: ﴿وَمَا هَدَى﴾: تهكم به^(١)، في قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكَ إِلَّا سَبِيلَ الرِّشَاقِ﴾ [غافر: ٢٩].

﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَمَجِّنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٥﴾ كَلُوا مِنْ طِينَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨٦﴾﴾

﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾: خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر، وإهلاك آل فرعون، وقيل: هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله - ﷺ - من الله عليهم بما فعل بأبائهم والوجه هو الأول، أي: قلنا: يا بني إسرائيل، وحذف القول كثير في القرآن، وقرئ: ﴿أُنجَيْتَكُمْ﴾

= ذلك. والشيخة: العجوز. والعشمية: المنسوبة لعبد شمس. وهو باب من النحت. وأثبت الألف في «تري» مع أنه مجزوم لضرورة الوزن، أو للاتساع. وقيل إنها عين الفعل. وأصله ترائى حذف لامه للجزم. ونقلت حركة الهمزة للراء، وأبدلت الفاء. وحكى إعمال «لم» للنصب. وحكى أيضاً إهمالها. وقياس النسبة إلى «يمن»: «يمنى» لكنهم حذفوا إحدى ياءى النسب، وعوضوا عنها الألف، وكان الذي يقوده صبياً، فسألته: من أنت؟ فقال: سيد القوم، فضحكت منه. والركد - كركع - جمع راكدة، أي مقيمة لا تذهب من عنده. والمرادة: مفاعلة من راد يرود إذا تعرف حال المكان متطلباً للخصب، وهو قريب من معنى أراد يريد، أي: يتطلبن مني بلطف واختبار: هل أرى أو لا؟ الشيء الذي تريده نسائي مني، وهو الجماع.

ينظر البيت في الأغاني ٢٥٨/١٦، وخزانة الأدب ١٩٦/٢، ٢٠٢، ورسر صناعة الإعراب ٧٦/١، وشرح اختيارات المفضل ص ٧٦٨، وشرح شواهد الإيضاح ص ٤١٤، وشرح شواهد المغني ٢/٦٧٥، ولسان المرء (هذذ)، (قدر)، (شمس)، ومغني اللبيب ٢٧٧/١، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٥/٢، وشرح الأشموني ٤٦/١، وشرح المفضل ٩٧/٥، ١٠٧/١٠، والمحتسب ١/٦٩.

(١) قال محمود: «إنما قيل وما هدى تهكماً به» قال أحمد: فإن قلت: التهكم أن يأتي بعبارة والمقصود عكس مقتضاها، كقولهم: إنك لأنت الحليم الرشيد، وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا هَدَى﴾ فمضمونه هو الواقع، فهو حينئذ مجرد إخبار عن عدم هدايته لقومه. قلت: هو كذلك، ولكن العرف مثل ما هدى زيد عمراً ثبوت كون زيد عالماً بطريق الهداية، مهتدياً في نفسه، ولكنه لم يهد عمراً. وفرعون أضل الضالين في نفسه، فكيف يتوهم أنه يهدي غيره. وتحقيق ذلك: أن قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ﴾ كاف في الإخبار بعدم هدايته لهم مع مزيد إضلاله إياهم، فإن من لا يهدي قد لا يضل، فيكون كافاً. وإذا تحقق غناء الأول في الإخبار، تعين كون الثاني لمعنى سواه، وهو التهكم. والله أعلم.

إلى ﴿رَزَقْتَكُمْ﴾، وعلى لفظ الوعد والمواعدة، وقرئ: ﴿الَّذِينَ﴾: بالجر على الجوار؛ نحو: «جر ضب خرب»، ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم، وفيما واعد موسى - صلوات الله عليه - من المناجاة بجانب الطور، وكتب التوراة في الألواح؛ وإنما عدى المواعدة إليهم لأنها لا يستهم واتصلت بهم؛ حيث كانت لئيبهم وتقائهم، وإليهم ١٥/٢ ب رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم، وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه، طغيانهم في النعمة: أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها، وأن ينفقوها في المعاصي، وأن يزووا حقوق الفقراء فيها، وأن يسرفوا في إنفاقها، وأن يبسطروا فيها ويأشروا ويتكبروا، قرئ: ﴿فَيَحِلُّ﴾، وعن عبد الله: «لا يحلن»^(١)، ﴿وَمَنْ يَحِلُّ﴾: المكسور في معنى: الوجوب، من حل الدين يحل: إذا وجب أداءه، ومنه قوله تعالى: ﴿سَخَّ بَيْعُ الْمُدَيِّ حِلْمًا﴾ [البقرة: ١٩٦]، والمضموم في معنى النزول، وغضب الله عقوباته^(٢)؛ ولذلك وصف بالنزول، ﴿هَوَى﴾: هلك، وأصله: أن يسقط من جبل فيهلك.

قالت: [من مجزوء الوافر]

هَوَى مِنْ رَأْسٍ مَرْقَبَةٍ فَفُتَّتْ تَحْتَهَا كَبِدُهُ^(٣)

- (١) قوله «قرئ فيحل» وعن عبد الله... إلخ يفيد أن القراءة المشهورة: فيحل. ومن يحلل - بالكسر. ولتحرر قراءة (لا يحلن) هل هي بالكسر أو بالضم. (ع)
(٢) قال محمود: «الغضب عقوبة الله تعالى لهم... إلخ» قال أحمد: لا يسعه أن يحمل الغضب إلا على العقوبة لأنه ينفي صفة الإرادة في جملة ما ينفونه من صفات الكمال، وأما على قاعدة السنة فيجوز أن يكون المراد من الغضب إرادة العقوبة، فيكون من أوصاف الذات. ويحتمل أن يراد به معاملتهم بما يعامل به من غضب عليه شاهداً، فيكون من صفات الأفعال. وأما وصفه بالحلول فلا يتأتى حمله على الإرادة، ويكون بمنزلة قوله عليه الصلاة والسلام (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) على التأويل المعروف. أو عبر عن حلول أثر الإرادة بحلولها تعبيراً عن الأثر بالمؤثر، كما يقول الناظر إلى عجب من مخلوقات الله تعالى: انظر إلى قدرة الله يعني أثر القدرة لا نفسها، والله أعلم.

(٣) هوى ابني من على شرف يهول عقابه صعده
هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده
ألام على تبكيه وألمه فلا أجده
وكيف يلام محزون كسير فاته ولده ١٩

لأعرابي، يقول: سقط ابني من فوق جبل عال. فعلى بمعنى فوق، ولو قرئ: على، بالضم - جمع على - لجاز، أي: سقط عن ذرى جبل عال، فالشرف: مصدر مستعمل في الوصف مجاز. يهول: أي يخيف، عقابه: ارتفاعه. وصعد - بالكسر - صعدا - بفتحيتين وضميتين - صعوداً: ارتفع، والضمير للعقاب أو للشرف، فهو من إضافة المصدر لفاعله، ويجوز أنه من إضافته لمفعوله، أي: صعوده عليه. وخص العقاب، لأنه أشد الطير صعوداً، لا سيما عقاب ذلك الجبل العارف به. =

ويقولون: هوت أمه، أو سقط سقوطاً لا نهوض بعده.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أِهْتَدَىٰ﴾ (٨٢)

الاهتداء: هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في «جاءني زيد ثم عمرو» أعني: أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه؛ لأنها أعلى منها وأفضل.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَىٰ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ

لِتَرْضَىٰ (٨٤)

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ أي شيء عجل بك عنهم على سبيل الإنكار، وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب، ثم تقدمهم شوقاً إلى كلام ربه وتنجز ما وعد به؛ بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب إلى رضا الله تعالى، وزل عنه أنه - عز وجل - ما وقت أفعاله إلا نظراً إلى دواعي الحكمة، وعلماً بالمصالح المتعلقة بكل وقت، فالمراد بالقوم: النقباء، وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه، وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح، ياباه قوله: ﴿هُمُ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَىٰ﴾، وعن أبي عمرو ويعقوب: «إثري»: بالكسر، وعن عيسى بن عمر: «أثري»: بالضم، وعنه - أيضاً - «أولى بالقصر»، والإثري: أفصح من الأثر، وأما الأثر فمسموع في فرند السيف^(١) مدوّن في الأصول، يقال: إثري السيف وأثره، وهو بمعنى: الأثر غريب.

فإن قلت: (ما أعجلك) سؤال عن سبب العجلة^(٢)، فكان الذي ينطبق عليه من

= وكرر «هوى» لإظهار التحزن، أي: سقط من رأس ثنية عالية يرقب فيها الرقيب، فمزقت كبده تحتها، أي: بجانبها، فكيف ببقية جسمه. ويروي: ففرت بتشديد الزاي بمعنى فزعت. وروي «ففرت» بتشديد الراء، وأصله: فريت. وهذه لغة طيء. ويقولون: المرأة دعت في دعيت. والدار بنت في بنيت، ثم قال: يلومني الناس على البكاء مع أنني ألمسه، من باب قتل وضرب، أي: أريد لمسه فلا أجده، وكيف يلام حزين هرم يتس من رجوع ولده إليه، أو من أوان التوالد. وقيل: إن القائل أم القليل، لكن يروي بعد البيت الأول:

فلام فتبكيه ولا أخت فتفتقده
هوى عن صخرة صلد ففرت تحتها كبده

إلى آخره...

(١) قوله «فرند السيف» أي ربده ووشيه، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: سئل عن سبب العجلة... الخ» قال أحمد: وإنما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة وهو أعلم: أن يعلم موسى أدب السفر، وهو أنه ينبغي تأخير رئيس القوم عنهم =

الجواب أن يقال: طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك، وقوله: ﴿هُنَّ أُولَآءِ عَلَيَّ أَثَرِي﴾ كما ترى غير منطبق عليه.

قلت: قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين، أحدهما: إنكار العجلة في نفسها، والثاني: السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه، فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكروا عليه، فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدّم يسير، مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به، وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدّم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم، ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾، ولقائل أن يقول: حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله، فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (١٥)

أراد بالقوم المفتونين: الذين خلفهم مع هارون، وكانوا ستمائة ألف، ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفاً.

فإن قلت: في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقتهم عشرين ليلة، وحسبوا أربعين مع أيامها، وقالوا: قد أكملنا العدة، ثم كان أمر العجل بعد ذلك، فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾؟

قلت: قد أخبر الله - تعالى - عن الفتنة المترتبة، بلفظ الموجودة الكائنة على عادته، أو افترض السامري غيبته، فعزم على إضلالهم غب انطلاقه، وأخذ في تدبير ذلك، فكان بدء الفتنة موجوداً، قرئ: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾، أي: وهو أشدهم ضلالاً؛ لأنه ضال مضل، وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها: السامرة، وقيل: السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم، وقيل: كان من أهل باجرما، وقيل: كان عرجاً من كرمان، واسمه: موسى بن ظفر، وكان منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر.

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَبًا أَفَطَالَ

في المسير ليكون نظره محيطاً بطائفته وناظراً فيهم ومهيماً عليهم. وهذا المعنى لا يحصل في تقدمه عليهم، ألا ترى الله عز وجل كيف علم هذا الأدب لوطاً فقال: ﴿وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ فأمره أن يكون أخيرهم. على أن موسى عليه السلام إنما أغفل هذا الأمر مبادرة إلى رضا الله عز وجل، ومسارة إلى الميعاد، وذلك شأن الموعود بما يسره، يود لو ركب إليه أجنحة الطير، ولا أسر من مواعدة الله تعالى له ﷻ.

عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا
 أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقُورِ فَقَدَفْتَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾
 فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمْ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾

الأسف: الشديد الغضب، ومنه قوله - عليه السلام - في موت الفجأة: «رَحْمَةٌ
 لِلْمُؤْمِنِ وَأَخْذَةٌ أَسْفٍ لِلْكَافِرِ» (٩٥٤)، وقيل: الحزين.

فإن قلت: متى رجع إلى قومه؟

قلت: بعد ما استوفى الأربعين: ذا القعدة، وعشر ذي الحجة، وعدهم الله - سبحانه -
 أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور، ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل، حكى لنا أنها
 كانت ألف سورة كل سورة ألف آية، يحمل أسفارها سبعون جملاً، ﴿الْعَهْدُ﴾: الزمان،
 يريد: مدة مفارقتهم لهم، يقال: طال عهدي بك، أي: طال زماني بسبب مفارقتك، وعده
 أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان، فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل،
 ﴿بِمَلِكِنَا﴾ ١٦٦/٢: قرئ بالحركات الثلاث، أي: ما أخلفنا موعدهم بأن ملكنا أمرنا، أي:
 لو ملكنا أمرنا وخلينا وراءنا لما أخلفناه، ولكننا غلبنا من جهة السامري وكيد، أي: حملنا

٩٥٤ - أخرجه أحمد في المسند (١٣٦/٦) ثنا وكيع ثنا عبيد الله بن الوليد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير،
 عن عائشة قالت: «سألت رسول الله - ﷺ - عن موت الفجأة فقال: راحة للمؤمن وأخذة أسف
 للفاجر».

ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٨/٣) رقم (٦٧٨١)، وقال الهيثمي في المجمع (٣٢١/٢): «رواه
 أحمد والطبراني في الأوسط وفيه قصة، وفيه عبيد الله بن الوليد الرصافي وهو متروك».
 ورواه عبد الرزاق (٥٩٦/٣) رقم (٦٧٧٦) وابن أبي شيبه في المصنف (٤٨/٣) رقم (١٢٠٠٥) عن
 ابن مسعود موقوفاً. ورواه ابن أبي شيبه في المصنف (٤٨/٣) رقم (١٢٠٠٧) عن عبد الله بن
 مسعود وعائشة موقوفاً.

وأخرجه أبو داود (٢٠٥/٢) كتاب الجنائز، باب في موت الفجأة حديث (٣١١٠) مرفوعاً وموقوفاً
 بلفظ «موت الفجأة أخذة أسف».

وأخرجه ابن أبي شيبه (٤٨/٣) رقم (١٢٠١٠) حدثنا غندر، عن شعبة، عن منصور، عن تميم بن
 سلمة، عن عبيد بن خالد، عن رجل من أصحاب محمد - ﷺ - في موت الفجأة قال: أخذه
 أسف.

قال الحافظ: أخرجه أحمد من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير عن عائشة: «سألت
 رسول الله - ﷺ - عن موت الفجأة - فذكره وله طريق أخرى عند عبد الرزاق مرفوعة، وفيها
 يحيى بن العلاء الرازي وهو ضعيف. ورواه هو وابن أبي شيبه والطبراني من حديثهما موقوفاً،
 وعن ابن مسعود أيضاً موقوفاً. وفي الباب عن أنس في الجنائز لابن شاهين وعن عبيد بن خالد عند
 أبي داود بلفظ «موت الفجأة أخذة أسف». انتهى.

أحمالاً من حلّي القبط التي استعرتها منهم، أو أرادوا بالأوزار: أنها أثام وتبعات؛ لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب، وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي، على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ، ﴿فَقَدَفْتَهَا﴾: في نار السامري، التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلّي، وقرئ: حملنا، ﴿فَكَذَّبَكَ الْقَى السَّامِرِيُّ﴾: أراهم أنه يلقي حلّيًا في يده مثل ما ألقوا؛ وإنما ألقى التربة التي أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل، أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا خالطت مواتا صار حيوانا، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾: السامري من الحفرة عجلًا خلقه الله من الحلّي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل.

فإن قلت: كيف أثرت تلك التربة في إحياء الموات؟

قلت: أما يصح أن يؤثر الله - سبحانه - روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما أثره بغيرها من الكرامات، وهي: أن يباشر فرسه بحافره تربة إذا لاقت تلك التربة جماداً أنشأه الله إن شاء عند مباشرته حيواناً؛ ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه في الدرع.

فإن قلت: فلم خلق الله العجل من الحلّي حتى صار فتنة لبني إسرائيل^(١) وضلالاً؟

قلت: ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين، ومن عجب من خلق العجل، فليكن من خلق إبليس أعجب، والمراد بقوله: ﴿فَإِنَّا قَدَفْتْنَا قَوْمَكَ﴾: هو خلق العجل للامتحان، أي: امتحانهم بخلق العجل، وحملهم السامري على الضلال، وأوقعهم فيه حين قال لهم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنسِي﴾: أي: فنسي موسى أن يطلبه ههنا، وذهب يطلبه عند الطور، أو فنسي السامري: أي ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٨٩) ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (٩٠) ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفَاتٍ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ (٩١)

﴿يَرْجِعُ﴾: من رفعه فعلى أن أن مخففة من الثقيلة، ومن نصب فعلى أنها الناصبة

(١) قال محمود: «إن قلت لم خلق الله العجل فتنة لهم» قال أحمد: هذا السؤال وجوابه تقدم له في أول سورة الأعراف. وقد أوضحنا أن الله تعالى إنما تعبدنا بالبحث عن علل أحكامه لا علل أفعاله. وجواب هذا السؤال في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ فهذا الأمر جائز. وقد أخبر الله تعالى بوقوعه فلا نتغي وراء ذلك سيلا، لكن الرمزشري تقتضي قاعدته في وجوب رعاية المصالح على الله تعالى وتحتم هداية الخلق عليه: أن يؤول ذلك ويحرفه. فذرهم وما يفترون.

للأفعال، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل أن يقول لهم السامري ما قال، كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه، فقبل أن ينطق السامري بادرهم هارون - عليه السلام - بقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾.

﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٦﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٧﴾﴾

لا مزيدة، والمعنى: ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي؟ وهلا قاتلت من كفر بمن آمن؟ ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أبشره أنا لو كنت شاهداً؟ أو مالك لم تلحقني.

﴿قَالَ يَبْنَومٌ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾

قرئ: ﴿بِلِحْيَتِي﴾: بفتح اللام^(١)، وهي لغة أهل الحجاز، كان موسى - صلوات الله عليه - رجلاً حديداً مجبولاً على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء، شديد الغضب لله ولدينه، فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلًا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام، أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة؛ غضباً لله واستنكافاً وحمية، وعنف بأخيه وخليفته على قومه، فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف قابضاً على شعر رأسه - وكان أقرع^(٢) - وعلى شعر وجهه يجزه إليه، أي: لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا، فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك، المتلافي برأيك، وخشيت عتابك على إطراح ما وصيتني به من ضم النثر وحفظ الدهماء^(٣)، ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْئِرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾

الخطب: مصدر خطب الأمر إذا طلبه، فإذا قيل لمن يفعل شيئاً: ما خطبك؟ فمعناه: ما طلبك له؟ قرئ: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾: بالكسر^(٤)، والمعنى: علمت ما لم تعلموه، وفطنت ما لم تفطنوا له، قرأ الحسن: (قبضة): بضم القاف، وهي اسم

(١) قوله «قرئ بفتح اللام» والقراءة المشهورة: بالكسر. (ع)

(٢) قوله «وكان أقرع» أي تام الشعر. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «وحفظ الدهماء» أي الجماعة. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) قوله «وقرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر» والقراءة المشهورة بالضم. وقرئ: تبصروا به. =

المقبوض، كالغرفة والمضغة، وأما القبضة فالمرة من القبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر، كضرب الأمير، وقرأ - أيضاً -: فقبضت قبضة، بالصاد المهملة، الضاد: بجمع الكف، والصاد: بأطراف الأصابع؛ ونحوهما: الخضم، والقضم: الخاء بجمع الفم، والقاف بمقدمه، قرأ ابن مسعود: من أثر فرس الرسول.

فإن قلت: لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس؟

قلت: حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور، أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة؛ ليذهب به، فأبصره السامري فقال: إن لهذا شأنًا، فقبض قبضة من تربة موطنه، فلما سأله موسى عن قصته قال: قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد، ولعله لم يعرف أنه جبريل.

﴿قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ ۚ ۖ ١٦/٢ لَا مَسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ۗ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾﴾

عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش؛ وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعاً كلياً، وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً، وإذا اتفق أن يماس أحداً رجلاً أو امرأة، حم الماس والممسوس، فتحامى الناس وتحاموه، وكان يصيح: لا مساس، وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجيء إلى الحرم، ومن الوحشي النافر في البرية، ويقال: إن قومه باق فيهم ذلك إلى اليوم، وقرئ: ﴿لَا مَسَاسٌ﴾: بوزن فجار؛ ونحو قولهم في الأطباء، إذا وردت الماء: فلا عباب، وإن فقدته: فلا أبواب، وهي أعلام للمسمة والعبه والأبّة، وهي المرة من الأب وهو الطلب، ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ أي: لن يخلفك الله مواعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض، ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا، فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة؛ ذلك هو الخسران المبين، وقرئ: «لن تخلفه»، وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً؛ قال الأعشى: [من الكامل]

أَثْوَى وَأَقْصَرَ لَيْلَهُ لِيُزَوِّدَا فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قَتِيلَةٍ مَوْعِدًا^(١)

بالتاء: وعبارة النسفي: وبالتاء حمزة وعلي، ولعلها سقطت هنا سهواً من الناسخ، فليحرر. (ع)

(١) أثوى وأقصر ليله ليزودا فمضت وأخلف من قتيلة موعداً

ومضى لحاجته وأصبح حبله خلقاً وكان بحالة لن ينكدا

للأعشى. وأقصر عن الشيء: أقلع عنه وامتنع منه. وأقصره: وجده قصيراً. وروي «قصر»

بالتشديد. وروي «ليله» بالإضافة إلى الضمير، لكن الذي في ديوان الأعشى «ليلة» بالتاء. وثوى =

وعن ابن مسعود: «نخلفه»: بالنون، أي: لن يخلفه الله، كأنه حكى قوله عز وجل كما مر في ﴿لَأَهَبَ لَكَ﴾ [مریم: 19]، ﴿ظَلَمْتَ﴾ وظلمت، وظلمت والأصل: ظلمت، فحذفوا اللام الأولى، ونقلوا حركتها إلى الظاء، ومنهم من لم ينقل: ﴿لَنُحْرِقَنَّكُمْ﴾، ولنحرقنه ولنحرقنه، وفي حرف ابن مسعود: «لنذبحنه»، و«لنحرقنه»، و«لنحرقنه»: القراءتان من الإحراق، وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد، وعليه القراءة الثالثة، وهي قراءة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه (لننسفنه): بكسر السين وضمها، وهذه عقوبة ثالثة، وهي: إبطال ما افتتن به وفتن، وإهدار سعيه، وهدم مكره: ﴿وَمَكْرُورًا وَمَكْرَ أَلَلِّهِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَكْرِينِ﴾ [آل عمران: 54].

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٩٨)

قرأ طلحة: الله الذي لا إله إلا هو الرحمن رب العرش، ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وعن مجاهد وقتادة: «وسع»، ووجهه: أن وسع متعد إلى مفعول واحد، وهو كل شيء، وأما: (علما): فانتصابه على التمييز، وهو في المعنى فاعل، فلما ثقل نقل إلى التعدية إلى مفعولين، فنصبهما معاً على المفعولية؛ لأن المميز فاعل في المعنى، كما تقول في «خاف زيد عمراً»: خوفت زيدا عمراً، فترد بالنقل ما كان فاعلاً مفعولاً.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٩٩) ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ (١٠٠) ﴿خَلِيلِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ (١٠١)

الكاف في ﴿كَذَلِكَ﴾: منصوب المحل؛ وهذا موعد من الله - عز وجل - لرسوله - ﷺ - أي: مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصنا عليك قصة موسى وفرعون، نقص عليك من سائر أخبار الأمم وقصصهم وأحوالهم، تكثيراً لبيناتك؛ وزيادة في معجزاتك، وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة، وتتأكد الحجة على من عاند

بالمكان: أقام به، وأثوى به: لغة فيه، ويستعمل متعدياً أيضاً. يقول: إنه قطع السفر، وأقام بربع قتيبة، ووجد ليله قصيراً لتزوره بالوصال، أو امتنع من السفر لذلك، فمضى الليل على الأول، أو مضت الليلة على الثاني. وجزالة المعنى تشهد له. وأخلف الموعد من قتيبة، أي: وجده خلفاً، فسافر كما كان إلى حاجته، واستعار الحيل للوداد أو للطمع فيه على طريق التصريح والخلق ترشيح، أي: ينس من مودته، وكان الحبل أو العاشق بحالة حسنة، هي أنه لن ينكد، أي لن يتغص، ولن يتكدر، ولن يتعسر شأنه، وزوال النعمة بعد نوالها يشق على النفس، وخلق - بالضم - فهو خلق، كحسن، وهو في الأصل مصدر. وينكد كيتعب.

ينظر ديوانه ص 277، ولسان العرب: 74/9، 126/14، ومقاييس اللغة: 393/1، ومجمل اللغة: 213/2، وديوان الأدب: 109/4، وتهذيب اللغة: 167/15، وتاج العروس: (خلف)، (سوى).

وكابر، وأن هذا الذكر الذي آتيناك، يعني: القرآن، مشتقاً على هذه الأفاضيل والأخبار الحقيقية بالتفكير والاعتبار؛ لذكر عظيم وقرآن كريم، فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه، ومن أعرض عنه فقد هلك وشقي، يريد بالوزر: العقوبة الثقيلة الباهظة؛ سماها وزراً تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح^(١) الحامل، وينقض ظهره، ويلقى عليه بهره^(٢)، أو لأنها جزء الوزر وهو الإثم، وقرئ: «يُحْمَلُ» وجمع، ﴿خَلِيدِينَ﴾ على المعنى؛ لأن «من» معلق متناول لغير معرض واحد، وتوحيد الضمير في أعرض وما بعده للحمل على اللفظ؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْ لَمْ تَأْرَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الجن: ٢٣]، ﴿فِيهَا﴾ أي: في ذلك الوزر، أو في احتمالها، ﴿سَاءَ﴾: في حكم بئس، والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهماً يفسره؛ ﴿حَمَلًا﴾: والمخصوص بالذم محذوف؛ لدلالة الوزر السابق عليه، تقديره: ساء حملاً وزرهم، كما حذف في قوله تعالى: ﴿وَيَمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]: أيوب هو المخصوص بالمدح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: وساءت مصيراً جهنم.

فإن قلت: اللام في: (لهم) ما هي؟ وبم تتعلق؟

قلت: هي للبيان، كما في (هيت لك).

فإن قلت: ما أنكرت^(٣) أن يكون في ساء ضمير الوزر؟

قلت: لا يصح أن يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم.

فإن قلت: فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس، وليكن ساء الذي منه قوله تعالى:

﴿يَسْتَنْتِ وَجْهُ الذَّيْبِ كَفْرًا﴾. بمعنى: أهم وأحزن؟

قلت: كفاك صاذاً عنه أن يؤول كلام الله إلى قولك: وأحزن الوزر لهم يوم القيامة

حملاً؛ وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذا اللام وعهدة هذا المنصوب.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (١١٦) ﴿يَسْخَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ (١١٣) ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (١١٤)

أسند النفخ إلى الأمره فيمن قرأ: «ننفخ»: بالنون، أو لأن الملائكة المقربين

وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة، فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن

يسند ما يتولونه إلى ذاته تعالى، وقرئ: «ينفخ»: بلفظ ما لم يسم فاعله، و«ينفخ»،

(١) قوله «يفدح الحامل» أي يثقله. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «بهره» أي غلبته. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «ما أنكرت» لعله «لم أنكرت». (ع)

«يحشر»: بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله - عز وجل - أو لإسرافيل - عليه السلام - وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلا الحسن، وقرئ: (في الصور): بفتح الواو جمع صورة، وفي الصور: قولان، أحدهما: أنه بمعنى: الصور، وهذه القراءة. تدل عليه، والثاني: أنه القرن، قيل: في الزرق قولان.

أحدهما: أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب؛ لأن الروم أعداؤهم وهم ١٧/٢ أزرع العيون؛ ولذلك قالوا في صفة العدو: أسود الكبد، أصهب السبال، أزرع العين.

والثاني: أن المراد: العمي؛ لأن حدقة من يذهب نور بصره تزدق، تخافتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول، يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا؛ إما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر؛ لأن أيام السرور قصار، وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت، والذاهب وإن طال مدته قصير بالانتهاء، ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت: «أطال الله بقاءك»: «كفى بالانتهاء قصرا» وإما لاستطالتهم الآخرة، وأنها أبد سرمد يستقصر إليها عمر الدنيا، ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة، وقد استرجح الله قول من يكون أشد تقاولاً منهم في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَثْلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿قُلْ كَمْ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَتَنِ الْأَعْيَانِ ﴿١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٢ - ١١٣]، وقيل: المراد لبثهم في القبور، وبعضه قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِينُوا عَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الروم: ٥٥]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦].

﴿وَسْتَأْتُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٢٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٢٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٢٧﴾﴾

﴿يَنْسِفُهَا﴾: يجعلها كالرمل، ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام، ﴿فَيَذَرُهَا﴾^(١)، أي: فيذر مقارضا ومراكزها، أو يجعل الضمير للأرض، وإن لم يجر لها ذكر؛ كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكْتُ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

فإن قلت: قد فرقوا بين العوج والعوج، فقالوا: العوج بالكسر: في المعاني، والعوج بالفتح: في الأعيان، والأرض عين، فكيف صح فيها المكسور العين؟

(١) قوله تعالى ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ﴿١٢٦﴾ في الصحاح: أن كلا من القاع والصفصف بمعنى المستوى من الأرض، فكان الصفصف تأكيد. (ع)

قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة، ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون؛ وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة، واتفقت على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية؛ لعثر فيها على عوج في غير موضع، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي، فنفى الله - عز وعل - ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك، اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة؛ وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني، فقبل فيه: عوج بالكسر، الأمت: التتو اليسير، يقال: مذ حبله حتى ما فيه أمت.

﴿يَوْمَئِذٍ يَنْبُؤُونَكَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١١٨﴾
 يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١٩﴾﴾

أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نسفت، ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل من يوم القيامة^(١)، والمراد: الداعي إلى المحشر، قالوا: هو إسرافيل قائماً على صخرة بيت المقدس يدعو الناس، فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا يعدلون، ﴿لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ أي: لا يعوج له مدعو، بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته، أي: خففت الأصوات من شدة الفزع وخفتت^(٢)، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: وهو الركن الخفي، ومنه الحروف المهموسة، وقيل: هو من همس الإبل وهو صوت أخفائها إذا مشت، أي: لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر، ﴿مَنْ﴾: يصلح أن يكون مرفوعاً ومنصوباً، فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف، أي: لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من، ﴿أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، والنصب على المفعولية، ومعنى أذن له: ﴿وَرَضِيَ لَهُمْ﴾: لأجله، أي: أذن للشافع ورضي قوله لأجله، ونحو هذه اللام اللام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٧﴾﴾

أي يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه، ولا يحيطون بمعلوماته علماً.

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر للفصل الكبير وأيضاً فإنه يبقى يتبعون غير مرتبط بما قبله، وبه يفوت المعنى والتقدير يوم إذا نسفت الجبال. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «وخفتت» في الصحاح «خفت الصوت» سكن. (ع)

﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ ﴿١١١﴾

المراد بالوجوه: وجوه العصاة، وأنهم إذا عاينوا - يوم القيامة - الخيبة والشقوة وسوء الحساب، صارت وجوههم عانية، أي: ذليلة خاشعة، مثل وجوه العناة وهم الأسارى؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الملك: ٢٧]، ﴿ رُجُوعُهُ يَوْمَئِذٍ بَاطِرٌ ﴾ [القيامة: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَابَ ﴾ [طه: ١١١]، وما بعده اعتراض؛ كقولك: خابوا وخسروا، وكل من ظلم فهو خائب خاسر.

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ﴿١١٢﴾

الظلم: أن يأخذ من صاحبه فوق حقه، والهضم: أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له، كصفة المطففين الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، أي: فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم؛ لأنه لم يظلم ولم يهضم، وقرئ: «فلا يخف»: على النهي.

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ ﴿١١٣﴾

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾: عطف على (كذلك نقص)، أي: ومثل ذلك الإنزال، وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد^(١) أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة، مكررين فيه آيات الوعيد، ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة، والذكر - كما ذكرنا -: يطلق على الطاعة والعبادة، وقرئ ١٧/٢: نحدث وتحدث، بالنون والتاء، أي: تحدث أنت، وسكن بعضهم التاء للتخفيف؛ كما في: [من السريع]

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلٍ^(٢)

(١) قال محمود: «معناه وكما أنزلنا عليك هذه الآيات المضمنة للوعيد... الخ» قال أحمد: الصواب في تفسيرها: ليكونوا على رجاء التقوى والتذكر، وإلا فلو أراد الله من جميعهم التقوى لوقعت. وقد تقدمت أمثالها. والعجب أنه نقل عن سيبويه في تفسير لعل أول هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَوْ يَحْتَفَتُونَ ﴾ أن معناه: كونا على رجائكما، ثم رجع عن ذلك ههنا: لأن المعتقد الفاسد يحذوه إلى هذا التأويل الباطل، والله الموفق.

(٢) حلت لي الخمر وكنت امرأة عن شربها في شغل شاغل اليوم أشرب غير مستحقب إِثْمًا من الله ولا واغل

لامرء القيس، كان حلف لا يشرب الخمر حتى يقتل بني أسد الذين قتلوا أباه حجرا، فلما قتل جماعة منهم قال: حلت لي الخمر بعد أن كانت حراما علي وكنت في شغل شاغل لي عن شربها، فالיום حين أخذت الثأر أشرب، وكان حقه الرفع لعدم الجازم، فسكن تخفيفاً للوزن. والمستحقب =

﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ

زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾: استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم، وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته، ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن، فتأنّ عليك ريثما يسمعك ويفهمك، ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، وقيل: معناه: لا تبلغ ما كان منه مجملاً حتى يأتيك البيان، وقرئ: حتى تقضى إليك وحيه، وقوله تعالى: ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾: متضمن للتواضع لله - تعالى - والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم، أي: علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدباً جميلاً ما كان عندي، فزدني علماً إلى علم؛ فإن لك في كل شيء حكمة وعلماً، وقيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا لِيَأْءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴿١١٥﴾﴾

يقال في أوامر الملوك ووصاياهم: تقدّم الملك إلى فلان وأوعز إليه، وعزم عليه، وعهد إليه، عطف الله - سبحانه - قصة آدم على قوله: ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [طه: ١١٣]، والمعنى: أقسم قسماً: لقد أمرنا آباهم آدم ووصيناه أولاً يقرب الشجرة، وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن قربها؛ وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن نتوعدهم، فخالف إلى ما نهى عنه، وتوعد في ارتكابه مخالفتهم، ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون، كأنه يقول: إن أساس أمر بني آدم على ذلك، وعرقهم راسخ فيه.

فإن قلت: ما المراد بالنسيان؟

= للشيء: الحامل له على ظهروه... ومنه الحقيقية، فشبّه الإثم بالشيء المحمول لمشقته على النفس، والاستحقاق تخييل. والواغل: الداخل على الشارين من غير أن يدعوه، أي: فاليوم أشرب ما شئت حال كوني غير متحمل ذنباً من الله. حيث بررت في قسمي، ولا متطفل على الشارين. ينظر: ديوانه ١٢٢، وإصلاح المنطق ٢٤٥، والأصمعيات ١٣٠، جمهرة اللغة ٩٦٢، وحماسة البحتري ٣٦، خزنة الأدب ١٠٦/٤ و٣٥٠/٨ و٣٥٤ و٣٥٥، والدرر ١/١٧٥، ووصف المباني ٣٢٧، شرح التصريح ٨٨/١، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦١٢ و١١٧٦، شرح شذور الذهب ٢٧٦، شرح شواهد الإيضاح ٢٥٦، شرح المفصل ٤٨/١، الشعر والشعراء ١/١٢٢، والكتاب ٤/٢٠٤، ولسان العرب [حقب]، [ذلك]، المحتسب ١/١٥، الأشباه والنظائر ١/٦٦، والاشتقاق ٣٣٧، والخصائص ٧٤/١ و٣١٧/٢، والمقرب ٢/٢٥٥، همع الهوامع ١/٥٤. الدر المصون ١/٢٢٧ فتح القدير ٢/٥٠٧.

قلت: يجوز أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر، وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة، ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس، حتى تولد من ذلك النسيان، وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها، وقرئ: «فنسي»، أي: نساء الشيطان، العزم: التصميم والمضي على ترك الأكل، وأن يتصلب في ذلك تصلباً يؤس الشيطان من التسويل له، والوجود: يجوز أن يكون بمعنى: العلم، ومفعولاه: (له عزمًا)، وأن يكون نقيض العدم كأنه قال: وعدمنا له عزمًا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾

﴿إذ﴾: منصوب بمضمر، أي: واذكر وقت ما جرى عليه من معادة إبليس ووسوسته إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة، وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده، حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات.

فإن قلت: إبليس كان جنياً بدليل قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة؟

قلت: كان في صحبتهم، وكان يعبد الله - تعالى - عبادتهم، فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له؛ كرامة له، كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع، كما لو قام لمقبل على المجلس عليه أهله وسراتهم، كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب، حتى إن لم يقم عنف، وقيل له: قد قام فلان وفلان، فمن أنت حتى تترفع عن القيام؟
فإن قلت: فكيف صح استنائه، وهو جني عن الملائكة؟

قلت: عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه، فأخرج الاستثناء على ذلك؛ كقولك: خرجوا إلا فلانة، لامرأة بين الرجال، ﴿وَأَبَى﴾: جملة مستأنفة، كأنه جواب قائل قال: لم لم يسجد؟ والوجه ألا يقدر له مفعول، وهو السجود المدلول عليه بقوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾ وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتشبث.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ السُّجَّةَ وَأَنْتَ لَهَا شَتَّىٰ وَجْهٌ وَإِنَّهَا لَتَوَلَّىٰ وَجْهَكَ فَتَشْتَقِي﴾

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ﴾: فلا يكون سبباً لإخراجكما؛ وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج؛ لأن في ضمن شقاء الرجل، وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم، كما أن في ضمن سعادته سعادتهم، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها، مع المحافظة على الفاصلة، أو أريد بالشقاء: التعب في طلب القوت؛ وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه، وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه.

﴿فَقُلْنَا يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِرَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾﴾

قري: (وإنك): بالكسر والفتح، ووجه الفتح العطف على (أن لا تجوع).

فإن قلت: إن لا تدخل على أن، فلا يقال: إن أن زيداً منطلق، والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها؟

قلت: الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن؛ إنما هي نائبة عن كل عامل، فلما لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة - كان - لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن. الشيع والري والكسوة والكن: هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان^(١)، فذكره استجماعها له في الجنة، وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا، وذكرها بلفظ النفي لتناقضها التي هي الجوع والعري والظماً والضحو^(٢)؛ ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذرته منها، حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها.

﴿فَوْسُوسٌ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾﴾

(١) قال محمود: «ذكر تعالى الأصناف التي بها قوام الإنسان... إلخ» قال أحمد: تنبيه حسن، وفي الآية سر بديع من البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير، وذلك أنه قطع الظماً عن الجوع والضحو عن الكسوة، مع ما بينهما من التناسب. والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها، ولو قرن كلا بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة، وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديماً وحديثاً فقال الكندي الأول [من الطويل]:

كأنني لم أركب جواداً للذة

ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أرشف الرزق الروي ولم أقل

لخيلي كربي كرة بعد إجفال

فقطع ركوب الجواد عن قوله «لخيلي كربي كرة» وقطع تبطن الكاعب عن ترشف الكأس مع التناسب، وغرضه أن يعدد ملاذه ومفاخره ويكثرها، وتبعه الكندي الآخر فقال [من الطويل]:

وقفت وما في الموت شك لواقف

كأنك في جفن الردي وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وتغررك باسم

فاعترضه سيف الدولة بأنه ليس فيه قطع الشيء عن نظيره، ولكنه على فطنته قصر فهمه عما طالت إليه يد أبي الطيب من هذا المعنى الطائل البديع، على أن في هذه الآية سرّاً لذلك زائداً على ما ذكر، وهو أن قصد تناسب الفواصل، ولو قرن الظماً بالجوع فقيل: إن لك أن لا تجوع فيها ولا

تظماً، لانتثر سلك رءوس الآي، وأحسن به منتظماً، والله أعلم.

(٢) قوله «والضحو» الذي في الصحاح: ضحيت للشمس ضحا - ممدود - إذا برزت الشمس لها، وضحيت - بالفتح - مثله. (ع)

فإن قلت: كيف ١١٨/٢ أعدى وسوس تارة باللام في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾،
وأخرى بـالي؟

قلت: وسوسة الشيطان كولوثة الثكلي^(١)، ووعوة الذئب، ووقوفة الدجاجة، في أنها
حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس، ومنه: وسوس المبرسم، وهو
موسوس بالكسر، والفتح: لحن؛ وأنشد ابن الأعرابي: [من الرجز]
وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصاً رَبَّ الْفَلْقِ^(٢)

فإذا قلت: وسوس له، فمعناه لأجله؛ كقوله: [من الرجز]

أَجْرَسُ لَهَا يَا ابْنَ أَبِي كِبَاشِ^(٣)

ومعنى «وسوس إليه»: أنهى إليه الوسوسة؛ كقولك: حدث إليه، وأسّر إليه، أضاف
الشجرة إلى الخلد وهو الخلود؛ لأن من أكل منها خلد بزعمه، كما قيل لحيزوم: فرس

(١) قوله «كولوثة الثكلي» أي الحزينة. (ع)

(٢) وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق سراً وقد أوّن تأوين العقق

في الزرب لو يمضغ شرباً ما بصق

لرؤية، يصف قانصاً. وسوس: تكلم في نفسه، يدعو الله مخلصاً أنه يظفره بالصيد، وقوله «سراً»
ساقه مساق الظرف للتوكيد، أي تعلق بوسوس، وللتأسيس إن تعلق بیدعو، وتكون الجملة حالية
مبينة للوسوسة. وقد أوّن أي: الحميم الوحشية، والجملة أيضاً حالية، والتأوين: امتلاء الجنين من
الأون، وهو جانب الخرج الممتلئ. والأونان الجانبان الممتلئان. والعقق: الحوامل، واحده عقوق
كعروس، وقيل: هو العقوق، أي امتلات بطونهن ماء لكثرة شربهن كامتلاء بطون الحوامل في
الزرب، حال من ضمير القانص. والزرب والزربة: قترته التي يكمن فيها وانزرب القانص: دخل
الزرب. وقوله «لو يمضغ» في معنى الحال أيضاً، أي: ساكناً بحيث لو يمضغ شرباً، أي: لو يلوك
بفمه مقداراً من مائه وهو الريق، لم يبصق لثلاً يسمع الصيد صوته، وأصل الشرب: النصيب من
الماء، استعاره لما يجتمع بقمه من الريق، وبين الزرب والشرب الجناس المضارع.

ينظر البيت في ديوانه ص ١٠٨، ولسان العرب (وسس) (لسق)، (أون)، (مان)، وتهذيب اللغة ١/
٦٠، ١٣٦/١٣، ٥٤٥/١٥، وتاج العروس (وطنس)، (عقق)، (فلق)، (أون)، وديوان الأدب ٤/
٢٢٩، وبلا نسبة في لسان العرب (عقق)، (وجه)، وكتاب العين ٨/٤٠٣، ومقاييس اللغة ٣/
٣٨٥، ٧/٤، ومجمل اللغة ٣/٣٠١، والمخصص ٩٣/١١، وتاج العروس (وجه).

(٣) أجرس لها يا ابن أبي كباش فما لها الليلة من أنفاس

غير السرى وسائق نجاش

«أجرس» بقطع الهمزة وبالسین المهملة، أي: صوت واحد للإبل في السير. فمالها في هذه الليلة
أنفاس، أي: إطلاق في المرعى. والسرى: سير الليل. ونجشت الإبل: جمعتها بعد تفرق.
ونجاش: صيغة مبالغة، أي: ليس لها رعي، بل سير شديد. وروي «أجرش» بوصل الهمزة والشين
المشالة، وهو بمعناه هنا. والجرس - بالمهملة -: الصوت الخفي، وبالمشالة: صوت المشط في
الشعر. وما شابه ذلك.

الحياة؛ لأن من باشر أثره حيي، ﴿وَمَلِكٌ لَا يَلِي﴾: دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس - رضي الله عنهم -: (إلا أن تكونا ملكين): بالكسر.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لُحْمًا سُوءًا طُهْمًا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (١٢١)

«طفق يفعل كذا» مثل: جعل يفعل، وأخذ، وأنشأ، وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً، وبينها وبينه مسافة قصيرة، هي: للشروع في أوّل الأمر، وكاد لمشارفته والدنو منه، قرئ: ﴿يَخْصِفَانِ﴾: للتكثير والتكرير، من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخفاف، أي: يلزقان الورق بسواتهما للتستر وهو ورق التين، وقيل: كان مدوراً، فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما، وقيل: كان لباسهما الظفر، فلما أصابا الخطيئة، نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع، عن ابن عباس: لا شبهة في أنّ آدم لم يمثّل ما رسم الله له، وتخطى فيه ساحة الطاعة، وذلك هو العصيان، ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشداً وخيراً، فكان غيياً لا محالة؛ لأنّ الغي خلاف الرشيد، ولكن قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾: بهذا الإطلاق وبهذا التصريح، وحيث لم يقل: وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك، مما يعبر به عن الزلات والفرطات: فيه لطف بالمكلفين ومرجرة بليغة وموعظة كافية، وكأنه قيل لهم: انظروا واعتبروا كيف نعت علي النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلطة وبهذا اللفظ الشنيع، فلا تنهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر، فضلاً أن تجسروا على التورط في الكبائر، وعن بعضهم: (فغوى): فبشم^(١) من كثرة الأكل، وهذا - وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها ألفاً فيقول في «فني، وبقي»: «فنا، وبقا»، وهم بنو طي؛ تفسير حبيث^(٢).

﴿ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ فَأَبَى عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (١٢٢)

فإن قلت: ما معنى: ﴿ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ﴾؟

قلت: ثم قبله بعد التوبة وقربه إليه، من جبي إليّ كذا فاجتبيته؛ ونظيره: جلّيت عليّ

= ينظر: لسان العرب (جرس)، (نجش)، (نفش)، وتهذيب اللغة ١٠/٥٤٢، ١١/٣٧٧، وتاج العروس (جرس)، ١٧/٤٢١.

(١) قوله «فبشم من كثرة الأكل» في الصحاح «البشم» التخمة. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: قلت كأنه لم يطلع على أنه قرئ بكسر الواو ولو اطلع عليها لردّها وقد فسّر القائل بهذه المقالة من نسبة آدم عليه السلام إلى المغني. انتهى. الدرر المصون.

العروس فاجتليتها، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِيَّتْهَا﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، أي: هلا جيت إليك فاجتبيتها، وأصل الكلمة: الجمع، ويقولون: اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار، و﴿هَدَى﴾ أي: وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى.

﴿قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا أَيُّكُمْ مَنِّي هُدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ﴿١٢٣﴾

لما كان آدم وحواء - عليهما السلام - أصلي البشر، والسببين اللذين منهما نشوا وتفرعوا: جعلاً كأنهما البشر في أنفسهما، فخطباً مخاطبتهم، فقيل: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّكُمْ﴾: على لفظ الجماعة؛ ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب، وهو في الحقيقة للمسبب، ﴿هُدَى﴾: كتاب وشريعة، وعن ابن عباس: ضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا قوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾، والمعنى: أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتلأ أوامره وانتهى عن نواحيه نجا من الضلال ومن عقابه.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾

الضنك: مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث، وقرئ: ﴿ضنكى﴾: على فعلى، ومعنى ذلك: أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته، فصاحبه ينفق ما رزقه بسمح وسهولة، فيعيش عيشاً رافعاً؛ كما قال عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَوَةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، والمعرض عن الدين، مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فيعيشه ضنك وحاله مظلمة، كما قال بعض المتصوفة: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه، ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة؛ لكفره، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذُّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبِنَا إِنَّهُمُ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَدَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١١]، وقال: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۚ﴾ [البجن: ١٦]، وعن

الحسن: هو الضريع والزقوم في النار، وعن أبي سعيد الخدري عذاب القبر، وقرئ: (ونحشره): بالجزم، عطفاً على محل: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾؛ لأنه جواب الشرط، وقرئ: «ونحشره»: بسكون الهاء على لفظ الوقف، وهذا مثل قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَرَبُّكَ وَسَّامٌ﴾ [الإسراء: ٩٧]، وكما فسر الرزق بالعمى، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك فعلت أنت، ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة، فلم تنظر إليها بعين المعبر ولم تتبصر، وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ (١١٧)

لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا، وحشره أعمى في الآخرة - ختم آيات الوعيد بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٧]، كأنه قال: وللحشر على العمى الذي لا يزول أبداً أشد من ضيق العيش المتقضي، أو أراد: ولتركتنا إياه في العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي

الْبَصَرِ﴾ (١١٨)

فاعل ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾: الجملة بعده يريد: ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه؛ ونظيره قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨) سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ [الصافات: ٧٨ - ٧٩]، أي: تركنا عليه هذا الكلام^(١)، ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول؛ ويدل عليه القراءة بالنون، وقرئ: ﴿يَمْشُونَ﴾ يريد: أن قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون، ﴿فِي مَسْجِدِهِمْ﴾: ويعاينون آثار هلاكهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (١١٩)

الكلمة السابقة: هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، يقول: لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عاداً وثموداً لازماً لهؤلاء الكفرة، والليزام: إما مصدر لازم وصف به، وإما فعال بمعنى: مفعول، أي: ملزم، كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه، كما قالوا: لزاز خصم، ﴿وَأَجَلٌ

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: فكون الجملة فاعل يهد هو مذهب كوفي، وأما تشبيهه وتنظيره بقوله: «وتركنا عليه في الآخِرِينَ» «سلام على نوح في العالمين» فإن تركنا معناه معنى القول فحكيت به الجملة كأنه قيل وقلنا عليه وأطلقنا عليه هذا اللفظ والجملة تحكي بمعنى القول كما تحكي بالقول. انتهى. الدر المصون.

مُسَمًّى: لا يخلو من أن يكون معطوفاً على ﴿كَيْتٌ﴾، أو على الضمير في: ﴿كَانَ﴾، أي: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمرود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل.

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١١٣)

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: في موضع الحال، أي: وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانتك عليه، والمراد بالتسبيح: الصلاة، أو على ظاهره قدم الفعل على الأوقات أولاً، والأوقات على الفعل آخرًا، فكأنه قال: صل لله قبل طلوع الشمس، يعني: الفجر، وقبل غروبها، يعني: الظهر والعصر؛ لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها، وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصًا لهما بصلاتك؛ وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل، لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب، وقال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (المزمل: ٦)، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيئٌ مَّآئَةً أَلَيْسَ لَكُم مَّا سَأَلْتُم مَّا وَفَاءً﴾ (الزمر: ٩)، ولأن الليل وقت السكوت والراحة، فإذا صرف إلى العبادة، كانت على النفس أشد وأشق، وللبدن أتعب وأنصب، فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله، وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة، وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار؛ إرادة الاختصاص، كما اختصت في قوله: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» عن بعض المفسرين.

فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ على الجمع؛ وإنما هما طرفان كما قال: ﴿وَأَوْتِرَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾؟

قلت: الوجه أمن الإلباس، وفي الثنية: زيادة بيان، ونظير مجيء الأمرين في الآيتين: مجيئهما في قوله [من السريع أو الرجز]

ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ الثُّرَيْسِينَ^(١)

وقرى: وأطراف النهار، عطفًا على آناء الليل، ولعل للمخاطب، أي: اذكر الله في هذه الأوقات؛ طمعاً ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك، وقرئ: «ترضى»، أي: يرضيك ربك.

(١) ومهمهين قذفين مرتين - ظهراهما مثل ظهور الثرسين

جبتهما بالنعث لا بالنعثين

لخطام المجاشعي. وقيل: لهميان بن قحافة. والمهمه: المفازة. والقذف - بالتحريك -: الذي =

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ

وَأَبْقَى ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: نظر عينيك، ومدّ النظر: تطويله، وألاً يكاد يرده؛ استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به، وتمنياً أن يكون له، كما فعل نظارة قارون حين قالوا: ﴿يَبْتَئِتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]، حتى واجههم أولو العلم والإيمان بـ: ﴿وَيَلِكُمْ ثَوَابٌ أَلْوَحَيْرٌ لَنْ ءَأْمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: ٨٠]، وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه؛ وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف، ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركز في الطباع، وأن من أبصر منها شيئاً أحب أن يمدّ إليه نظره ويملاً منه عينيه، قيل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به، ولقد شدّد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك؛ لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغري لهم على اتخاذها، ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفرة، ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير، والفعل واقع على: (منهم): كأنه قال: إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناساً ١٩/٢ منهم.

فإن قلت: علام انتصب ﴿زَهْرَةَ﴾؟

قلت: على أحد أربعة أوجه: على الذم، وهو النصب على الاختصاص، وعلى

= يقذف سالكه فلا يمكث فيه أحد. وقيل: البعيد. والمرت - بالسكون -: القفر لا ماء فيه ولا نبات. والترس: حيوان ناتئ الظهر. وثى ظهراهما على الأصل، وجمع فيما بعد لأمن اللبس، ولأنه ربما كره اجتماع تشنيتين، لا سيما عند تتابع التشنية كما هنا. وقال النحاة: كل مثنى في المعنى مضاف إلى متضمنه، يختار في لفظه الجمع لتعدد معناه وكراهة اجتماع تشنيتين في اللفظ. ويجوز مجيئه على الأصل كما هنا. ويجوز إفراده كقوله [من الطويل]:

حمامة بطن الواديين ترنمي

والجواب: القطع. والنعته: الوصف، ويروي: «بالسمت لا بالسمتين» والسمت: الهيئة والقصد والجهة والطريق والمراد أنهما وصفان، أو ذكرت هياتهما له مرة واحدة. يقول: رب موضعين قفرين لا أنيس فيهما، لهما ظهران مرتفعان، كظهري الترسين، قطعتهما بالسير بنعت واحد، لا بوصفهما لي مرتين أو ثلاثة كغيري. ويجوز أن المعنى بذكر نعت واحد من نعتها، لا بذكر نعتين، فالنعت بمعنى الصفة القائمة بالشيء. وفي الكلام دلالة على شجاعته وحذقه.

ينظر: خزانة الأدب ٣١٤/٢، والدرر ١١٦/١، ١١٨، ١٦٦، وشرح المفضل ١٥٦/٤، والكتاب ٤٨/٢، ولسان العرب (مرت)، وله أو لهميان في الكتاب ٦٢٢/٣، والتنبيه والإيضاح ١٧٣/١، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٣٠٢/٤، ٥٣٩/٧، ٥٧٢، وشرح الأشموني ٤٠٤/٣، وشرح شافية ابن الحاجب ١٩٤/١، وهمع الهوامع ٤٠/١، ٥١، والمختص ٧/٩.

تضمنين: (متعنا) معنى: أعطينا وخولنا، وكونه مفعولاً ثانياً له، وعلى إبداله من محل الجار والمجرور، وعلى إبداله من أزواجاً، على تقدير ذوي زهرة.

فإن قلت: ما معنى الزهرة فيمن حرّك^(١).

قلت: معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة، كما جاء في الجهرة الجهرة، وقرئ: «أرنا الله جهرة»، أن تكون جمع زاهر، وصفاً لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا، لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون، وتهلل وجوههم^(٢)، وبهاء زيهم وشارتهم^(٣)، بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء: من شحوب الألوان والتقشف في الثياب، ﴿لِفَتْنِهِمْ﴾: لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب؛ لوجود الكفران منهم، أو لعذبهم في الآخرة بسببه، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: هو ما أذخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم، أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة، أو لأن أموالهم الغالب عليها الغضب والسرقة والحرمة^(٤) من بعض الوجوه، والحلال ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾؛ لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث، والحرام لا يسمى رزقاً أصلاً^(٥)، وعن عبد الله بن قسيط عن رافع: قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى يَهُودِيٍّ، وَقَالَ: «قُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ أَقْرَضَنِي إِلَى رَجَبٍ» فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا أَقْرَضْتُهُ إِلَّا بِرَهْنٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنِّي لِأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ، وَإِنِّي لِأَمِينٌ فِي الْأَرْضِ، أَحْمِلْ إِلَيْهِ دِرْعِي الْحَدِيدِ»؛ فنزلت: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ (٩٥٥).

٩٥٥ - رواه الطبراني (٣٣١/١) رقم (٩٨٩) حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير ثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع قال: أضاف رسول الله - ﷺ - ضيفاً فلم يلق عند النبي - ﷺ - ما يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود: يقول لك محمد - ﷺ - فأخبرته فقال: «أم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه، فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إِنْ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا =

- (١) قوله «حرّك» أي حرّك الهاء بالفتح. (ع)
- (٢) قوله «وتهلل وجوههم» الذي في الصحاح: تهلل وجه الرجل من فرحه، وهلهل النساج الثوب. أرق نسجه وخففه. (ع)
- (٣) قوله «وبهاء زيهم وشارتهم» في الصحاح: الزي والشارة: اللباس والهيئة. (ع)
- (٤) قال محمود: «معناه أن رزق هؤلاء المتمتعين في الدنيا أكثره مكتسب من الحرام... إلخ» قال أحمد: لولا أن غرض القدرية من هذا إثبات رازق غير الله تعالى كما أثبتوا خالقاً سوى الله تعالى لكان البحث لفظياً. فالحق والسنة أن كل ما تقوم به البنية رزق من الله تعالى، سواء كان حلالاً أو غيره، لا يلزم من كون الله تعالى رزقه أن يكون حلالاً، فكما يخلق الله تعالى على يدي العبد ما نهاء عنه، كذلك يرزقه ما أباح له تناوله وما لا ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ والله الموفق للصواب.
- (٥) قوله «والحرام لا يسمى رزقاً أصلاً» هذا عند المعتزلة، ويسمى رزقاً عند أهل السنة. (ع)

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٢)

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ أي: وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة، واستعينوا بها على خصائصكم، ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة، فإن رزقك مكفّي من عندنا، ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة، وفي معناه قول الناس: من دان في عمل الله كان الله في^(١) عمله، وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١]... الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله، وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت أهله خصاصة، قال: قوموا فصلوا؛ بهذا أمر الله رسوله، ثم يتلو هذه الآية.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنْ رَبِّهِ أَوْلَم تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٣٣)

اقترحوا على عاداتهم في التعنت آية على النبوة، فقبل لهم: أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن، من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته؛ لأنه معجزة، وتلك ليست بمعجزات، فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها، افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة، وقرئ: «الصحف»: بالتخفيف، ذكر الضمير الراجع إلى البينة؛ لأنها في معنى البرهان والدليل.

= مَنَّهُمْ ﴿ إلى آخر الآية لأنه يعزبه عن الدنيا.

ورواه ابن جرير في التفسير (٤٧٩/٨) رقم (٢٤٤٥٦) قال الهيثمي في المجمع (١٢٩/٤): «رواه الطبراني في الكبير والبخاري وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف» اهـ. وذكره السيوطي في الدر (٤/٥٦٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن راهويه وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه، والخراطي في مكارم الأخلاق، وأبو نعيم في المعرفة، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٢٣٦/٣)، والواحدي في الوسيط (٢٢٧/٣).

قال الحافظ: قلت وقع فيه تحريف في الروايتين، وإنما هو عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع، ولعل ذلك من النسخ. والحديث أخرجه إسحاق، وابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والبخاري، والطبراني من هذا الوجه مطولاً، وفيه موسى بن عبيدة الزبيري وهو متروك. واستدل على بطلان ما رواه أنه وقع فيه: أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ الآية نزلت في هذه القصة، وسورة طه مكية - وهذه القصة إنما كانت في المدينة كما في الصحيح. وهذا يمكن الجواب عنه؛ إذ لا مانع أن تكون الآية وحدها مدنية. وبقية السورة مكية. وأما حملة على تعدد القصة فلم يصح. انتهى.

(١) قوله «من دان في عمل الله كان الله في عمله» دان: ذل. ودانه: أذله، كذا في الصحاح. (ع)

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ ﴿١٣٤﴾

قرئ: ﴿نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾: على لفظ ما لم يسم فاعله.

﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ ﴿١٣٥﴾

﴿كُلُّ﴾ أي: كل واحد منا ومنكم، ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾: للعاقبة، ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم، وقرئ: «السواء»: بمعنى: الوسط والجيد، أو المستوي والسوء والسوأي والسوي تصغير السوء^(١)، وقرئ: فتمتعوا فسوف تعلمون، قال أبو رافع: حفظته من رسول الله ﷺ.

عن رسول الله ﷺ - : «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ طهَ أُعْطِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوَابَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» (٩٥٦)، وقال: «لَا يَقْرَأُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا طهَ وَيَسَ» (٩٥٧).

٩٥٦ - تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من رواية زياد عن الحسن مرسلًا. انتهى.

٩٥٧ - تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه من حديث أبي بن كعب. انتهى.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس بجيد إذ لو كان كذلك لثبتت همزة سوء والأجود أن يكون تصغير سواء كقولهم غطى في غطا قلت وقد جعله أبو البقاء أيضاً تصغير السوء بفتح الهمزة ويرد عليه ما تقدم إيراده على الزمخشري وإبدال مثل هذه الهمزة جائر فلا إيراد. انتهى. الدر المصون.